الوجهة السادسة

وتشتمل على إحدى عشرة صورة تعرف بالتفصيل توسيع وتجديد المسجد الشريف ودار فاطمة رضى الله عنها السعيدة.

كما تعرف محل محراب النبى القديم والأساطين الشريفة وصفة أصحاب الصفة والمواقع المباركة الأخرى.

obeikandl.com

obeikandl.com

فى ذكر صورة طرح وتأسيس مسجد السعادة على صاحبه أفضل التحية.

سكن مؤسس مبانى أركان الدين الرصين ـ عليه سلام الله المعين ـ فى البيت الذى يملكه أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ ما يقرب من سبعة أشهر، أقام فيه متعبدًا وبعد ذلك استدعى أصحاب الساحة التى بركت فيها الناقة ذات الصفات الممدوحة «القَصْوَاء» فى المكان الأول لوح لهم قائلاً «إذا كنتم ترغبون فى بيع هذه الحظيرة لاشتريتها لأبنى عليها مسجدًا»، وبهذه البراعة بين لهم أنه يفكر فى شراء تلك الساحة، فعرض عليه «سهل وسهيل» سالفا الذكر ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك أن يتفضل بقبول تلك الساحة بدون ثمن، ورجوا النبى ﷺ فى ذلك وأصرا ولكن النبى ﷺ لم يستصوب أن يأخذ تلك الساحة مجانًا لأن صاحبيها كانا أطفالا، فجلب معاذ بن عفراء ـ وعلى قول آخر أسعد بن زرارة[1] ـ وأعطى له عشر قطع ذهبية[2] ليسلمها لهما.

كانت هذه الساحة مقبرة فى أيام جاهلية العرب، وبيعت فيما بعد وانتقلت من يد لأخرى حتى انتقلت لملكية ابنى رافع بن عمرو، ولم تكن تلك الساحة مستوية الأرض، لذا قد تكونت عليها بعض مياه الأمطار وتراكمت على شكل مياه البرك، فأمر النبى ﷺ بتسطيح الأرض، وبعد إعداد لوازم البناء أرسى أساس المسجد، وفى العام الثانى الهجرى أكمل البناء فى شهر صفر الخير وسقفه بجريد النخل.

وكان لذلك المسجد الذى أسسه معمار ديوان الشريعة ـ عليه أفضل التحية ـ محراب واحد وثلاثة أبواب. وكان المحراب الشريف المذكور متجهًا إلى بيت

(١) الراجح أنه أسعد بن زرارة، إذ كان الغلامان يتيمين فى حجره، وكان أسعد بن زرارة يصلى فيه ويجمع قبل مقدم الرسول الله ﷺ، إلى المدينة انظر: إعلام الساجد، ص ٣٢٣.

(٢) وكانت هذه القطع الذهبية ثمن تلك الساحة فدفعها الصديق الأكبر على أنها من قبل رسول الله ﷺ.

المقدس، أى كان فى مكان البوابة التى يطلق عليها فى زماننا باب التوسل وكان أحد الأبواب فى مكان المحراب الشريف الحالى وكان الثانى مكان باب جبريل وكان الثالث حيث استقر باب الرحمة، واشتهر الباب الذي كان مكان المحراب الشريف بباب الحملة وكان خاصًا لدخول الجماعة وخروجها وكانت الأبواب الأخرى خاصة لدخول النبى ﷺ فى حجراته وكان البابان اللذان خصصا لدخول النبى ﷺ يعرف أحدهما فى العصر النبوى بباب «عثمان» والآخر بباب «عاتكة» وكان سمك جدران المسجد الشريف ثلاثة أذرع وكان عمق حفرة الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع، وكان الأساس إلى الجدران الظاهرة من الأرض من الحجر وما يعلوه من اللبن، وكان السقف قد رفع فوق ستة أعمدة موزونة ثلاثة على يمين المنبر وثلاثة أخرى على يساره كل واحد فى حذاء الآخر وظلت الروضة المطهرة بين منبر السعادة والحجرة المنيفة.

وكان طول وعرض المسجد ـ توأم حرم الجنة ـ مائة ذراع لكل منهما، وبناء على بعض الأقوال أن طوله وعرضه أقل من مائة ذراع، إلا أن فريقًا من المؤرخين قالوا إن طول ساحة مسجد السعادة كان سبعين ذراعًا وكان عرضه ستين ذراعًا، وصنع الطين اللازم سواء أكان لأعمال الجدران أو فى صنع اللبن فى حفرة «بقيع خبخبة» الكائن فى اتصال بئر خالد بن زيد وفى جهة «بقيع الغرقد».

استطراد

خبخبة اسم شجرة نبتت من قبل الله أمام البئر سالفة الذكر؛ وكانت هذه الشجرة فى داخل مقبرة بقيع الغرقد وبجانب ضريح إبراهيم ابن الرسول ـ عليه وعلى أبيه التسليم ـ ويظل هذا المكان الآن فى الجهة اليمنى من زوار مقبرة البقيع.

وقد نسيت حفيرة خبخبة التى يلزم أن تكون بئر خالد بن زيد، اسمها ورسمها مع مرور الزمن ولم يبق أحد يعرف مكانها، إلا أن مصطفى عشقى أفندى من مجاورى المدينة المنورة المخلصين قد تحرى عنها مئات المرات متوسلاً من روح النبى ﷺ العون واستطاع أن يظهرها فى سنة ١٢٦٠هـ، والبئر المذكورة بجانب

مسجد يحيى بن طلحة بن عبيد الله، وهذا المسجد فى داخل الحديقة ذات النخيل التى تسمى حديقة أولاد صفى.

حديقة أولاد صفىّ:

بالخروج من باب البقيع الشريف حصن المدينة المنورة وبعد قطع مسافة ربع ميل من الطريق الذى يؤدى إلى مشهد حمزة يظهر بستان واسع، وهناك زقاق يتفرع إلى يمين البستان وعلى جهتى هذا الزقاق عدة بساتين والبستان الذى وقف لأغوات حرم السعادة يشتهر ببستان «أولاد صفى». وفى داخل الحديقة المذكورة بئر ينزل إليها بسلم ودرج، وفى الجهة الجنوبية منها مسجد لطيف على شكل منزل وفى طول ثمانية أذرع وكذلك العرض؛ هذا المسجد هو مسجد «يحيى بن طلحة» والبئر التى بجانبه بئر أبى أيوب الأنصارى المعروف باسم «خبخبة». انتهى.

بعد أن أتم النبى ﷺ بناء مسجد المدينة بنى تسع حجرات خاصة بزوجاته المطهرات على يمين مسجد السعادة ويساره وقد خص أقرب الحجرات ـ وهى الحجرة التى دفن فيها ـ بالسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كما خصص الحجرة الملاصقة بها للسيدة سودة[1] ـ رضى الله عنها ـ كما فتح طريقًا من دار عائشة، إلى المسجد الشريف.

يخبر المؤرخون عن مساحة المسجد الشريف بوجود أربع روايات: **الرواية الأولى**: أن الذراع فى تلك الوقت كان مقياسًا قريبًا من شبرين ـ أو أكثر منه قليلاً، وبناء على **الرواية الثانية**: أن كلاً من الطول والعرض كان مائة ذراع، وعلى **الرواية الثالثة**: أن كلاً من الطول والعرض كان يقل قليلاً عن المائة.

وبناء على ما تفيد **الرواية الرابعة** كان الطول والعرض يقلان عن مائة ذراع، وعندما حدث تحويل القبلة أبلغا إلى مائة ذراع.

رأى ومطالعة

عند بناء مسجد السعادة وتأسيسه كان طوله الشرقى فى نهاية الحجرة الشريفة،

(١) كانت حجرة سودة اللطيفة خلف دار عثمان بن عفان.

كما كان عرضه عند اتصال جدار الحجرة المعطرة مع الجدار الغربى، وبما أن هذا المكان لا يتجاوز سبعين أو ستين ذراعًا زيد إلى مائة ذراع عند تحويل القبلة.

وقد بنيت جدران مسجد السعادة أولاً على طراز «سميط» وبعده على طراز «سعيدة» وترك بدون سقف. ولما تبين للأصحاب الكرام فى فترة ما أنه لن يستطاع تحمل حرارة الشمس، فسقفوا المسجد بجريد النخل ولأجل الوقاية من الأمطار وضعت فوق سطح السقف أوراق الأشجار ثم وضعوا فوقها التراب وهكذا أحكموا بناءه امتثالاً لأوامر الرسول ﷺ.

إخطار

يطلق طراز «السميط» على نوع البناء الذى توضع فيه لبنة فوق لبنة، وطراز «السعيدة» هو وضع اثنتين من اللبنات بالعرض وإحداهما بالطول، ووضعها مناصفة فوق اللبنتين العرضيتين. وقد صنع اللبن اللازم لبناء مسجد السعادة رجل من حضرموت، ولما كان هذا الرجل بارعًا فى صنع اللبن عين من قبل النبى ﷺ لأداء هذه المهمة.

وقد صنع النبى ﷺ بانى قصر الإسلام القوى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد إتمام بناء الحجرات ظل محراب مسجد السعادة على أن تكون مأوى للمساكين ومسكنًا. والتى تعرف باسم «صُفّة أصحاب الصفة» وأسكن الغرباء الذين يأتون فى هذه الظلة وآواهم.

المكان الذى قيل عنه الظلة كان عريشة مصنوعة من جريد النخيل وكان مقرى الضيفان ـ ﷺ ـ يؤوى الغرباء والمحرومين فى هذا المكان، وعندما يحل المساء كان يطعم بعضهم كما يختار بعضهم ويرسلهم إلى بيوت الأنصار. وبعد أن أتم سيد العالمين بناء المسجد الشريف وحجرات بيوته أى فى خلال صفر الخير من السنة الثانية للهجرة انتقل بالعز والإقبال من دار أبى أيوب الأنصارى إلى البيت اللطيف الذى بنى له.

وبذل الأنصار الكرام غاية جهدهم وحرصوا على إجراء مراسم الضيافة للنبى

ﷺ طول فترة وجوده فى دار خالد بن زيد، وتناوبوا فى تقديم الأطعمة بل تباروا فيه وكانوا يلاطفون بعضهم قائلين «النوبة لى فى هذه الليلة وكان ثلاثة أو خمسة منهم يأخذون أطعمتهم ويذهبون عند النبى ﷺ، ولم تمر ليلة فى تلك المدة المذكورة إلا وكان فى مائدة الرسول ﷺ ثلاثة أو خمسة من أصحابه السعداء، وكانت امرأة تدعى «هديدة»[1] أول من قدمت الطعام، وعندما نالت «هديدة» شرف الحضور عند النبى ﷺ كانت تحمل فوق رأسها مائدة صغيرة فوقها خبز طازج واللبن الزبادى والزبد وأنزلت المائدة، وقالت: «إن والدتى ـ جاريتكم ـ هى التى أرسلت هذه الأشياء».

ودعا النبى ﷺ بالخير والبركة سواء أكان للطعام أو العفيفة التى جاءت بالطعام والأخرى التى أرسلت ثم قام بتناوله.

ثم قدمت مائدة سعد بن عبادة فى المرة الثانية، وكان فى هذه المائدة طعام الثريد المطبوخ حديثًا فتفضل بالتناول منه، وبعد هذا كانت تقام فى كل ليلة فى بيت أبى أيوب الأنصارى مائدة حيث يحضرها خمسة أو عشرة من الصحابة، ولما كانت والدة أبى أيوب الأنصارى هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج تطبخ بدون أن تضع الثوم والبصل وفق مزاج النبى ﷺ فالسلطان الجديد ـ عليه صلوات الله المجيد ـ كان يفضل الأطعمة التى تطبخها ويحبها.

عندما نوى طرح أساس المسجد الشريف نزل جبريل ـ عليه السلام ـ باسطًا أجنحته وأوصى النبى ﷺ أن يكون ارتفاع جدران الأبنية السعيدة سبعة أذرع[2] وألا تنقش ولا تزين أية جهة من جهاتها وأن تكون مونتها من الطين وعندئذ أخذ النبى ﷺ قطعة من الحجر وشرع فى طرح الأساس وذكر اسم الله ثم أمر كلاً من أبى بكر الصديق وبعده عمر بن الخطاب وبعده عثمان بن عفان وبعده على بن أبى طالب حيدر الكرار أن يضعوا قطعة من الحجر فى الأساس وقال للذين سألوا عن حكمة ذلك إنها إشارة إلى ترتيب خلافة هؤلاء.

(١) لم أجدها فى الصحابيات «فالله أعلم».

(٢) هناك من يقول إنه أوصى بأن يكون ارتفاع الجدران خمسة أذرع.

الصورة الثانية

تبين توسيع مسجد السعادة وتحويل المحراب الشريف.

وظلت أبنية المسجد الشريف التى أسسها بانى مبانى الشريعة (عليه أقوى التحية) فى خلال السنة الأولى الهجرية إلى رجب الفرد[١] من السنة الثانية الهجرية على هيئتها الأصلية، ولما أوحى قبل غزوة بدر الكبرى باتخاذ كعبة الله قبلة مرة أخرى فأمر النبى ﷺ بإغلاق باب المسجد الذى يتجه إلى مكة المكرمة[٢] وفتح بابًا جديدًا مقابله أى فى الجدار الشامى لمسجد السعادة وبناء على هذا التقدير أنه قد صلى فى المدينة المنورة متجهًا إلى بيت المقدس ما يقرب من ستة عشر شهرًا[٣].

إخطار

كان النبى ﷺ يستقبل كعبة الله عندما كان يصلى فى مكة المكرمة، وقبل هجرة النبى ﷺ بفترة أخذ أمر استقبال قبلة الأنبياء صخرة الله تأليفا لقلوب اليهود فاتخذ البيت المقدس قبلة، إلا أنه كلما كان يقوم للصلاة كان يستقبل الركن اليمانى حتى لا يستدير البيت المعظم. لأن وسط هذين الركنين يحاذى الجهة الجنوبية من البيت المقدس، وإن أراد أن يستقبل تلك الجهة بعد الهجرة لم يمكنه ذلك لتخالف الجهات فاضطر أن يستدير كعبة الله، إلا أن قلبه الشريف كان حزينًا ومنكسرًا بصورة دائمة، وحينما نزلت الآية الجليلة «فَوَلِّ وَجْهَكَ» يعنى حينما أمر باتخاذ المسجد الحرام قبلة الأنام. وأخذ يستقبل جهة ميزاب الرحمة من

(١) روى ابن حبيب بقاء المسجد الشريف على حاله القديم إلى يوم الثلاثاء من الخامس عشر من شهر شعبان للسنة الثانية من الهجرة.

(٢) اسم هذا الباب «باب التوسل».

(٣) قد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن هذه المرة كانت سبعة عشر شهرًا والفريق الآخر على أنها كانت ثمانية عشر شهرًا.

بيت العزة، لأن الذين يستقبلون الكعبة المعظمة من المدينة المنورة يتجهون إلى جهة «حجر إسماعيل» من تلك البقعة المشرفة.

بينما كان النبى ﷺ صاحب القبلتين حينما أمر باستقبال بيت الله، كان يصلى الركعة الثالثة من صلاة الظهر متوجهًا إلى صخرة الله فتحول إلى ميزاب كعبة الله دون أن يخرج من الصلاة وكان ذلك فى مسجد حى بنى سلمة ومن هنا أطلق على هذا المسجد الشريف «مسجد القبلتين»، وإلى الآن لهذا المسجد محرابان ينظر أحدهما إلى الكعبة المعظمة والآخر إلى البيت المقدس ويقابل بعضهما البعض.

وبعد أن أتم معمار قصر الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ صلاة الظهر فى مسجد القبلتين شرف مسجد السعادة ونزل بعد وصول صاحب الرسالة بقليل جبريل الأمين باسطًا أجنحته وقال له: «إننى قد رفعت ما بين الحرمين من الأشجار والأحجار فعينوا مكان محراب مسجدكم الشريف ناظرًا إلى بيت الله».

ورأى حقائق الأشياء البيت المحترم رؤية العين، وعين موقع المحراب الشريف ولما كان لم يبق شىء يحول دون رؤية العيون النبوية ما بين الحرمين فأخبر أن موقع المحراب الشريف فى نقطة تقابل ميزاب الرحمة.

وقد وقعت هذه الواقعة الجميلة قبل ملحمة بدر الكبرى بشهرين. قال بعض المؤرخين «إن مسجد السعادة قد أسس على يد أسعد بن زرارة بدون سقف قبل الهجرة وكان عبارة عن أربعة جدران وكان محرابه فى الجدار الذى فى جهة البيت المقدس، وأن هذه الجدران كان يصلى فيها النبى ﷺ مع أصحابه وكان يجتمع فيها مع أصحابه من المؤمنين الذين يأتون من الأطراف»، إلا أنهم يخطئون فى رأيهم إذا أرادوا بذلك مسجد قباء، فهذا ليس بصحيح كما ذكرت تفصيلاته فى البحث الخاص به.

فى ذكر الأماكن السعيدة التى صلى فيها من المسجد الشريف إمامُ محراب الملكوت ـ عليه السلام.

بما أنه لم يكن محراب مخصوص لأداء الصلاة سواء أكان فى عصر السعادة أو فى عصر الخلفاء الراشدين قبل تحويل القبلة إلى الكعبة المعظمة كان سيد الزاهدين يؤدى فى مكان اسطوانة يطلق عليها الأسطوانة المخلقة أى فى النقطة التى فى الجهة الشامية من المكان الذى يؤدى فيه إلى الآن أئمة الحرم الشريف. وهذا المكان هو المكان الذى يقع فى الجهة اليسرى من المحراب الشريف، وفى وسط الروضة المطهرة والذى يعرف بأسطوانة عائشة، ولما كان إمام صفوف الأنبياء عليه أجمل التحايا استمر يصلى فى هذا المكان بعد تحويل القبلة أطلق على الأسطوانة المنسوبة للسيدة عائشة «أسطوانة النبى» أيضًا.

وتفضل إمام المتقين فيما بعد بأداء الصلاة فى المكان الذى عرف بـ «محراب النبى» وهذا المكان فى وسط الحجرة اللطيفة والمنبر المنير مع ميل إلى جهة منبر السعادة.

ولم يترك الخلفاء الراشدون والأئمة الكرام ذلك المحراب واستمروا يؤدون الصلاة فيه، واهتم صلحاء الأمة فى تتبع آثارهم، ونصبت اسطوانة حتى لا ينسى مكان مصلى النبى ﷺ ووضعوا المصحف الذى أرسله الحجاج الظالم على يمين تلك الأسطوانة، بعد أن وضعوه فى داخل صندوق.

يروى ابن النجار ناقلاً عن الإمام مالك أن الحجاج بن يوسف الثقفى أرسل إلى أمهات القرى مصحفًا، وكان المصحف الذى أرسله إلى المدينة المنورة مصحفًا لطيفًا موضوعًا فى داخل صندوق غاية فى الكبر ووصل الجهة اليمنى من الأسطوانة المذكورة على أن يكون علامة للمصلى النبوى الشريف وكان الذين

يزورون المصلى النبوى ـ عارفين مكانها ـ يصلون ويدعون عند الأسطوانة التى ركزت بجانب صندوق المصحف الشريف لتكون علامة لموقف النبى ﷺ عند أدائه الصلاة، يروى عن يزيد بن أبى عبيد المدنى ـ مولى سلمة بن الأكوع ـ قال: كنت أتى مع سلمة فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم! أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإنى رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها[1].

وفى رواية: أنه كان يأتى إلى سبحة الضحى فيعمد إلى الأسطوانة دون المصحف فيصلى قريبًا منها. . .،[2] الحديث.

وبناء على هذا كان يلزم أن تكون الأسطوانة المخلقة إما فى قرب قبلة النبى وإما فى قرب المحراب النبوى وعلى هذا يرجح القول الثانى وفق أقوى الأقوال، وبناء على ما ذكر آنفًا لم يكن فى عصر السعادة أو فى عهد الخلفاء الراشدين محراب مجوف.

مؤسس محراب مسجد السعادة:

وضع محراب مسجد السعادة عمر بن عبد العزيز، إذْ جمع فى عهد الوليد بن عبد الملك صناديق المهاجرين وكبار الأنصار وبعد أن صنع فى المحل الذى كان يصلى فيه النبى ﷺ محرابًا قال لهم لا تقولوا إن عمر بن عبد العزيز غير محرابنا، هذه هى قبلتكم، وحتى يلصق هذا المحراب بجدار مسجد السعادة، رفع حجرا من الجدار القديم ووضع مكانه حجرًا آخر، إن المحراب المجوف الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى حذاء الجدار الذى كان يصلى فيه النبى ﷺ، إذا لم يكن المشار إليه قد وضع المحراب المذكور لأصبح من الصعوبة بمكان معرفة موقع محراب النبى بل أصبح مستحيلاً.

---

(١) صحيح أخرجاه: البخارى فى كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانة حديث رقم (٥٠٢) الفتح ١: ٥٧٧ ومسلم فى كتاب الصلاة حديث (١١١٥، ١١١٦)، باب دنو المصلى من السترة، شرح النووى مع صحيح مسلم ٢/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ط. دار الغد العربى.

(٢) هذه الرواية عند ابن ماجة حديث (١٤٣٠) كتاب الصلاة، باب ما جاء فى توطين المكان فى المسجد يصلى فيه ص (٤٥٩)، وقوله يأتى: يعنى سلمة بن الأكوع.
وقوله دون المصحف يعنى قريبًا منه، وهو مصحف عثمان رضى الله عنه.

عندما يصلى فى المحراب الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى مصلى النبى ﷺ يظل المنبر المنير على منكب المصلى الأيمن، وبهذا لم يتغير موقف النبى ﷺ كما أن المنبر المنير لم يغير من مكانه ويظل صندوق المصحف الشريف الذى ذكر آنفًا، كسترة بين محراب النبى وأساطين مسجد السعادة.

وأراد المرحوم «آقشهرى» من مؤرخى المدينة المنورة أراد أن يعين موقع محراب النبى ﷺ قائلاً: «بما أن صندوق المصحف الشريف فى مكان المصلى النبوى يلزم أن يكون المصلى النبوى أمام المكان الذى يؤدى فيه أئمة عصرنا الصلاة والمكان الذى يؤدى فيه الأئمة فى عصرنا يقع فى الجهة الخلفية من مصلى النبى ﷺ، إلا أن قوله هذا ورأيه لا يسلم من الخطأ بالنسبة للأقوال الموثوقة الأخرى.

وفى الواقع لا ينكر أن بين محراب السعادة والقبلة يعنى جدار المحراب العثمانى فاصلة بمقدار عشرين ذراعًا وستة أصابع إلا أن هذه الفاصلة أضيفت بعد وفاة سيد البشر، وإذا ما نظر بدقة إلى تلك الفاصلة يحكم أن محراب السعادة فى مكانه القديم، لأن صندوق المصحف الشريف سالف الذكر كان فى مكان جدار القبلة القديمة، وقبل هدم هذا الجدار كان عرض المسجد الشريف واحدًا وعشرين ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا.

وقال الإمام السمهودى فى كتابه الذى ألفه عن تاريخ المدينة والذى رأى لبنات الجدار القديم عند زيارته: «كان سمك جدار المسجد القديم الذى كان بين جدار المسجد الجنوبى والمصلى اللطيف أكثر من ذراع ونصف ذراع وبعد أن هدم الجدار المذكور أصبح عرض المسجد الشريف عشرين ذراعًا ستة أصابع ورفع صندوق المصحف الشريف فوق أساس هذا الجدار» وبهذا بين سمك الجدار الذى صنع فى عصر السعادة، وعرض مسجد السعادة فى أثناء هدم هذا الجدار وإذا ما أضيف إلى العرض الذى يصل إلى عشرين ذراعًا وستة أصابع سمك الجدار يكون العرض فى هذا التقدير واحدا وعشرين ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا بالتمام.

إن تعريف الإمام السمهودى يعين لنا الموقع المنيف الذى أدى فيه إمام محراب الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ صلاته إذا ما وقف شخص جاعلاً باب المنبر المنير فى محاذاة منكبه الأيمن واستقبل محراب السعادة فالفاصلة التى تبقى بينه وبين

محل الجدار القديم هو المكان الذى أدى فيه النبى ﷺ صلاته، والمنبر الشريف الذى ذكر هنا هو المنبر القديم وهذا المنبر مع الإفريز المصنوع من حجارة أساس الحفرة على شكل حوض وعلى يمين هذا الإفريز ثلمة وعلى ويساره ثلمة وفوق هاتين الثلمتين آثار الرصاص وهما مكان التقاء أعمدة المنبر المنير القديم.

نظم

عند الصلاة ولِّ وجهك شطر المحراب..
وعند الدعاء نكّسِ الرأس نحو التراب..
انحنى منه حاجب ذات الوجه الجميل..
وبدا الهلال وهو يجعل سمت مرقاته إلى العرش فى السماء..
وعلى العرش والكرسى عرشه شاء..
فى تلك اللحظة لا تعقل لسانك فى بكائك..
افتح شفتيك وفى شوق ترنم بغنائك..

السلام عليك يا خير الخلق.

السلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين.

السلام عليك يا سيد الخلائق أجمعين.

السلام عليك يا رسول الله.

السلام عليك يا من دنا فتدلى وكان منزله قاب قوسين أو أدنى.

السلام عليك يا من ذا الذى ما زاغ البصر وما طغى.

السلام عليك يا من أوحى إلى عبده ما أوحى.

السلام عليك ما جَدَّ الجديدان واختلفت الألوان والقطران واستقبل الفرقدان[1]، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين.

«فتوح الحرمين»

(١) هما نجمان متجاوران أحدهما: النجم القطبى، وهو قريب من القطب الشمالى، ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به، وهو المقصود فى قوله تعالى: ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (سورة النحل / ١٦). المعجم انظر: الوجيز (فرقد) وغيره.

obeikandl.com

فى تعريف جزعة مسجد السعادة والمحل القديم لمحراب النبى ﷺ.

كان فى الجهة الجنوبية لصندوق المصحف الشريف قبل أن يحترق المسجد النبوى لوحة[١] مصنوعة من الخشب تسمى «جزعة»[٢] وكانت كبيرة، وكان يطلق عليها فى تلك الأوقات «خرزة فاطمة الزهراء» وتعود الرجال والنساء أن يجتمعوا خلف تلك اللوحة وكانت تقع بعض الأمور غير اللائقة.

وكانت امرأة تستند على هذه اللوحة فوقعت وانكشف مكان عورتها ومن هنا رفع زين الدين أحمد بن المصرى من أفاضل المجاورين الذى كان يشتهر باسم «ابن حنا» هذه اللوحة وهكذا منع من حدوث هذه الأشياء الغير لائقة خلفها وذلك فى سنة (٧٠١) هـ.

وكانت لوحة فضية سميكة على جدار محراب السعادة فى ذلك الوقت وكانت فى وسط هذه اللوحة مرآة جذابة، يروى أن هذه المرآة كانت ملكًا للسيدة «عائشة»، وكان فوق تلك اللوحة رخام مذهب وفى جهة ما من هذا الرخام «حدبة» فى حجم رأس الطفل وتحت الحدبة رخام منحوت ومصقول وعلى قاعدته وتر مغروس كان النبى إمام محراب الشريعة ـ عليه أعظم التحية ـ يتكئ عليه ويستتر بعد إتمام الصلاة، وبعد الحريق الثانى وسع محل المحراب القديم وغير وبدلوا المكان المقدس الذى أمام الصندوق الذى احتوى على المصحف الشريف وركزوا مكانه محرابًا مرتفعًا منحوتًا من الرخام وذلك فى سنة (٨٨٨)هـ وكان يقتضى إبقاء هذه الأماكن على حالها تعظيما لها إلا أن «شمس بن زمن» الحقير غير أكثر الآثار وبدلها ووضع مكانها المحراب الجديد.

(١) وكان الذين فى الجهة الشامية من هذه اللوحة لا يرون ما يجرى خلفها.

(٢) يقال الخرزة للمجوهرات مثل: ياقوت، زمرد، الماس، والخرزات اليمنية..

إخطار

إن العثور على المحراب القديم لأداء ركعتى التحية أمام محراب الملكوت وزيارته يقتضى الوقوف على الجهة اليمنى لمحراب النبى الحالى وجعل منكبه الأيسر فى محاذاة المحراب الشريف الأيمن.

وكان يلزم أن تؤخذ مبانى محراب السعادة إلى جهة المنبر المنير فأخذت وسحبت ناحية قبر السعادة وكان سببا فى هذا الخطأ تعنت شمس بن زين بالجهل والذى كان أمين البناء بعد الحريق الثانى لمسجد السعادة.

بما أن المسافة بين المحراب الجديد والمنبر القديم أربعة عشر ذراعًا وشبرًا وكذلك المسافة بين الطرف الشرقى من أسطوانة التوبة ومنبر السعادة الحالى أربعة عشر ذراعًا وشبرًا فالذين يوفقون فى أداء الصلاة طبق التعريف السابق لاشك فى أنهم سيؤدون الصلاة فى الموقف النبوى لأن المسافة بين الحجرة المعطرة والمصلى النبوى ثمانية وثلاثين ذراعًا والمسافة بين المصلى الشريف ومنبر السعادة أربعة عشر ذراعًا وشبرًا يثبت أن المحل المذكور آنفًا مصلى النبى وبهذا يظل التغيير فى الجهة الشرقية فقط.

وبناء على هذا التعريف يلزم أن تكون المسافة بين قبر السعادة والمنبر المنير اثنين وخمسين ذراعًا وشبرًا وبما أن سمك قاعدة منبر السعادة ذراعان وثمانية عشر أصبعًا وإذا أضيف مقدار هذا السمك إلى المسافة ما بين قبر السعادة والمنبر المنير تكون المسافة بين القبر الجليل ومنبر الرسول خمسة وخمسين ذراعًا. وكان هناك عمود قريب من جدار القبلة قبل الحريق الثانى، وصندوق المصحف الشريف الذى تكرر ذكره مرات كثيرة كان خلف هذا العمود وكان الزوار الكرام يذهبون إلى أن هذه القطعة الخشبية قد انتحبت لفراق محبوب الخالق وأنها بقية «جذع النخلة»، ولأجل ذلك يحرصون على زيارته زيارة خاصة ويمسحونه بأيديهم.

هناك من يدعى أن ذهاب الزوار هذا خاطئ إلا أن الذين يخطئونهم هم المخطئون، لأن قطعة من النخيل أوصلت بالرصاص قد ظهرت بين الأساطين.

وإن ادعى مجد الدين اللغوى قائلاً: «إن قطعة النخلة التى يزورها الزوار ليست قطعة النخلة التى يظنونها بل أنها قطعة عادية من الخشب الذى ركز ليكون علامة على مصلى النبى، وقلعها» عز بن جماعة سنة (٧٥٥) وأراد بهذا أن يخطىء الزوار الذين يظنون أنها قطعة من النخلة المذكورة إلا أن العلماء الذين وجدوا فى عصر «عز بن جماعة صدقوا ما ذهب إليه الزوار» وقال «هذه القطعة من العمود من قطع النخلة التى أنتجت فى عصر السعادة» كما أثبتوا أن قطعة من اللبنة التى ظهرت فى أثناء تجديد مسجد السعادة من بقايا المبانى التى صنعت فى حياة النبى ﷺ.

تنبيه

كانت هناك فاصلة بين المكان الذى يصلى فيه سيد العالمين والجدار القبلى الذى بنى فى عصر النبوة تسمح بمرور شاة وإن هذه الفاصلة كانت المكان الذى يظل فى أثناء السجدة وبناء على هذا التعريف فالفاصلة بين النبى ﷺ والجدار وهو قائم كانت فى وسع ثلاثة أذرع، ومن هنا يقتضى للذين يريدون أن يؤدوا الصلاة فى محراب النبى تبركًا أن يتركوا فاصلة تسمح بالسجدة بين رءوسهم وجدار محراب السعادة. وقد كتب على حجر رخام منقوش من الطرف الأيمن من المحراب النبوى عبارة «هذا مصلى رسول الله ﷺ» وفوق هذه العبارة يعنى فى الجزء الأعلى من طاق المحراب الشريف خارجًا منه وبدءا من وسطه وسائرا من فوق الكمر إلى وسط الطرف الأيسر منه الآيات الشريفة «بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. (البقرة: ١٤٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (الأحزاب: ٥٦).

وفى الوسط الداخلى للمحراب المقدس سطر الآية المنيفة بخط قديم جلى مذهب.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (التوبة: ١١٢).

والآية الكريمة «التائبون الحامدون» بدأت من اليمين واتجهت إلى اليسار فى شكل مرتب.

وقد كتب فى أعلى طاق المحراب الشريف المذكور بخط غليظ جميل الآية الكريمة ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ (آل عمران: ٣٧) وعلى الطرف الأيسر منها الحديث الشريف قال النبى عليه الصلاة والسلام: «الصلاة عماد الدين» وفى اتصال هذا الحديث العبارة المنجية «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» وفوق الأسطوانة المخلقة المتصلة بالمحراب المسعود عبارة «هذه الأسطوانة المخلقة» وفى مكان مواجهة جدار محراب السعادة والجهة الجنوبية منه كتبت عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد؛ أمر بعمارة هذا المحراب الشريف النبوى العبد الفقير المعروف بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، خلد الله ملكه بتاريخ شهر ذى الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية».

وقد كتب فوق الباب المشبك المصنوع من النحاس والذى يفتح إلى الروضة المطهرة والذى يقع فى الجهة اليمنى من المحراب الشريف بخط جلى «قال النبى عليه الصلاة والسلام إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»، وفى الطرف الجنوبى للباب الذى ينظر إلى المحراب العثمانى وفى الجهة القبلية من الباب كتب الحديث الشريف «قال النبى عليه السلام؛ ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى» كما كتب على الباب الصغير النحاس المشبك الذى ينظر إلى الروضة المطهرة وباتصال الجهة اليسرى من الحديث «قال النبى عليه السلام؛ ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» (حديث شريف) وفى الطرف الجنوبى لهذا الباب

والذى ينظر إلى المحراب العثمانى المركوز فى الجدار الجنوبى لهذا الباب كتب الخبر الصحيح اللطيف «قال النبى ﷺ: من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى» (حديث شريف) بخط فى غاية الجمال والذى يجذب الأنظار إليه أنه قد كتب بخط جميل ومقبول، وكل الخطوط مطلية بذهب خالص العيار.

وقد حصلنا على نسخة من القصيدة الوصفية التى تحتوى على محاسن مسجد السعادة وآثاره المسعودة ومدائحه والتى ألقاها إبراهيم كاظم باشا من أجلة شعراء العصر فى مواجهة العتبة النبوية ورأينا تذييلها لهذه الصورة تبركا بها.

نعت شريف

بـــاركَ الله أيُّهـــا المعبـــدُ يـا مـن عنـد العـرش عتبتَـك
لا أوحـــش الله أيهـــا المـكرم وفخـر الدنيـا روضـتك
أنـــت مســـجد ولـــكنك قبـــلة الكعبـــة وبابـــــك
تحســـد الشـمس حـــلقته كمـــا تحسـد السماء طاقتك
إنـك روضـة ولـكن النـار بجانبها تبدو وشيكًا للعيان
إنهـا شـعلة شـــجر تجـلى ورد روضـــة الـلا مـكان
يـــا لهـــا مـــن ريـــاض إلهيـــة وتـــرابها الأقـدس
يفخر العرش بوجوده من تراب الأرض إنها أرج الجنة
وســـيل دمـــع العـــين العاشـــق الولهـــان
شـــمعة تحـــوم روح جبـــريل حولهـــا
والملائـــكة شـــوقًـا إلـــى إيوانهـــا
جـــواهر أرواح الخلائـــق فتـــات فيهـــا
ويـــداس النـــاس كالرمـــال فـــى ســـاحتها
جامـــع حـــكمة لمحـــرابه أركـــان

تقوست كأنها حاجب الحسان
لا يبلغ الروح الأمين ارتفاع المنبرين
إن الأفلاك والعقول تعدها مرقاتين مرقاتين
كأن شجرة الطور كل سارية ومغارة
تقدم لأهل العشق للتجلى أمارة
إنها برعم اللاهوت وليست قبة خضراء
لقد جعلها الله من شجرة الورد تشع الضياء
ما عسى أن أقول فى محشر الأرواح وكيف أصف
فى كل موضع منه إنسىٌّ وجنىٌّ معتكف
الفرق بينه وبين الجمع والانتشار
فالجمع فى المحشر يومًا وفيه خمس مرات
ليس ما يظهر فى أيامه زجاج بلورى
عين الملائكة إليه ترنو
كل مؤذن فيه بلبل يسجع سجعا
ويقول الله أكبر من ألقى إليه سمعا
تمزقت صدورهم واضطربت قلوبهم لمكنسته
وشعر حور الجنان مثل قلبى من الغبطة والحسد
على سقفه هل أنارت قباب
أم أنها على لجة القدرة حباب
الزفرات تحت قلنسوته إلى العرش تصل
وكأن روح المولوى كل شمعدان مشتعل
كلا بل إن كل شمعة جرح فى جنان

إن يـــد كـــليم الله البيضـــاء تبـــدو للعيـــان
إن العليـــل ريحاهـــى أصـــل أنفـــاس المســـيح
والوصـــال فـــى الهـــوى أصـــل للـــروح
إن فـــى دلـــو لبئـــر للشـــمس محـــوها
إذا مـــا أبـــدت فـــى الفـــلك خيـــط شـــعاع لهـــا
هديـــل حمامـــة يشـــنف مـــن الحـــور الآذان
ولوحـــة الرخـــا يثيـــر غيـــرة الجنـــان
مـا ضـر لـو كـانت أعـز مـن الـروح ذرة مـن ترابـه
إن ســـيد الـــكون والمـــكان فـــى رحابـــه
إنـــه مـــلك الدنيـــا يتـــبوأ سريرهـــا
ولـــروح موســـى عصـــى يحرســـه بهـــا
ســـيد الدنيـــا ذلـــك العظـــيم
الـــذى وصـــف صـفاتـــه الله الـــكريم
حبيـــب الله وجـــوده الأكـــرم الأمثـــل
وهـــو للإنـــس والجـــن موئـــل
لـــه سـجايـــا عنـــد الله عـلمـــت
وفـــى اللـــوح المحفـــوظ بالقـــلم رقمـــت
مـلك تاجـه «لـى مـع الله» وسـلطان الديـن
عبـــد مـــلك ماســـوا والرســـول الســـعيد
نـــور أوج الهدايـــة ومشـــرق نـــور الظهـــور
وعلـــة خـــلق مرايـــا فيهـــا للجمـال سـفور
فخـــر الأمم وســـيد المرســـلين

الرسول الأكرم خاتم النبيين
أحمد الرسل ملاذ الأنبياء الذى جعل ذاته
تحمل لوجه الحق مرآته
القابض بيده على قاب قوسين
ومن يرمق وجهه على الدوام بالعين
من الحق إن للماهية ماء جوهر
فيه الله أمر
لعله الطاهر على خيمة العرش هلال يمتد
وأثر قدمه لعين روح الملائكة مكحلة الأسمر
إذا أثر ماء لطف شربة فى النار
أصبح أصلا لحياة الخلود كل الشرار
أما إذا وقع على الماء شرار قهره
أصبح حباب الماء تنور يقذف بناره
وإن كان لمكنته فى إقليم العدم سحاب
أصبح جنات ذلك الباب
وإذا ما بلغته منه بعوضا أعان
كان لها حكم الدنيا كسليمان
وإذا ما نظر إلى بلبل حزين السر ليل
كان لنواحه ما لصور إسرافيل
من نظر إلى جبينه وحاجبه وأهدابه
رأى سر الحكمة فى غورها والعقل فى لبابه
وإذا شاء أن يكون لحكمه صفة الأضداد فى آن

بـــدا مـــــن ذلـــك تقلبـــات الزمـــــان
هـــذا مـــا لشـــمس عدلـــــه مـــن آثـــــار
فبـكل شـعاع منـــها لمـــلك تدهـــور وانهـــيار
للبلبـــل موئـــــل مـــــن شـــــوك حولـــــه
ويحمـى الشـمع مـن الريـح زجـاج مصـباح حولـــه
لقـد ألفـت إلـى مـالا يتناهـى مـن بعـــد الصـحراء
يـــد قدرتـــه إذا مـــا قدمت الكرة بالصولجان فى الهواء
يـــا رســـول الله لـــك الجمـــال مـــع الجـــلال
همـــا ربيـــع بـــلا خريـــف وشـــمس بـــلا زوال
يـــا رســـول الله يـــا مـــن أنـــت نَـــبِىٌّ آخـــر الزمـــان
بعثـــك رحمـــــة للعالمـــــين الرحـــــمان
إن نـــور وجهـــك مصـباح محفـــل الكبريـــاء
غـــدا نـــراك ووجـــنتك هـــى لـؤلـؤ الضـــياء
إذا وقـــع غبـــار مكحلتـــك فـــى عـــين عـــليل
بـــدت صـــورة الســـر الخفـــى برقـــا فـــى مرآتـــه
إذا اشتاقـــــت عينـــى الباكيـــــة شـــــفتك
بحـرا ومعدنـا للجواهـر واللآلـى مـع الدمـع صنعت
لا تحسبن أن قوس قزح يظهر بظهر المجرة فـى المسـاء
عبـــدك مقيـــد العنـــق هـــــو الســـــماء
إذا مـــا بـــدا الهـــلال فـــى الســـماء
فإلـــى هـــــلال حـــاجبـــك الإيمـــــاء
لا يبـــدو فـــى صـــدرى جـــراح منـــك بالسـنان

وإن كـــان جـــرح فـــم فيـــه ألـــف لســـــان
حبـــذا ســـكير العشـــق الـــذى لا يعـــرف لـــه صـــهباء
ســـوى دمـــاء يزرفهـــا فـــى البـــكاء
وددت لـــى صديقًـــا أفضـــى إليـــه بســـرى
ما عسى أن أصنع إن سرى لا يفشو ولو انقضى عمرى
إن ألـــف جبريـــل فـــى ركابـــك مقيـــدون
أمـــا أنـــا فيوســـف فـــى أســـرى المســـلمين
إن كـــاظم ســـوف يبقـــى إلـــى آخـــر الزمـــان
مـــا دام وجـــد مـــرة مـــع هـــذا القمـــر الاقتـــران
رحـــماك يـــا رسـول الله أعـنى فلـى زورق مـن أفـــار
تتقاذفـــه الأمـــواج فمالـــه مـــن قـــرار
مـــن شـــر هـــذه الدنيـــا التفكـر فـى هـول يـوم الحشر
وضـــيق ذات اليـــد مـــن ذلك الطـــالع الأنـــكد
لا يتحصـــل مـــن كـــل غـــمك وهـــمك مـــن نـــفع
لـــو اختلطـــت قطـرة المطر بـذرات العـالم أجـمع
ارمقـــنى بنظـــرة مـــن رحـــمات
حتـى يشـير حـالـى غيـرة حـدائـق الجنـات
تم الكـــلام وحـــان وقـــت للدعـــاء
فابســـط حجـــرًا لحاجتـــى والتجائـــى
مـــا دام نـــور الحـــق يتـــلألأ فـــى روضـــك
فالملائـــكة عـــلى الـــدوام تطـــوف بمســـجدك
يســـر العفـــو والغـــفران لأمـــتك
ولتســـعد وتقـــر عيـــنا بوصـــلك

تبين سبب تأسيس منبر مسجد النبى وصورته وجزع ونحيب النخلة[1].

لما كان مسجد المدينة الشريف خاليًا من المنبر لإلقاء الخطبة كان مؤسس مبانى الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ يقف طويلاً على رجله فى أثناء إلقائه الخطبة ويتعب كثيرًا، وتأثر الأصحاب الكرام من هذه الحالة فأتوا بنخلة وركزوها فى المحل الذى يلقى فيه خطيب منبر الرسالة ـ عليه أسنى التحية ـ ورجوه أن يتكئ عليها فى أثناء إلقائه الخطبة، وبعد فترة ألمح أحد النجارين من المدينة المنورة وهو «باقوم الرومى» من عبيد سعيد بن العاص، لتميم الدارى من الصحابة والذى كان من معارفه وقال: «إذا أمكن الحصول على إذن من الرسول ﷺ لصنعت له منبرًا» وهكذا أومأ بأنه مستعد لصنع منبر لمسجد السعادة وعرض تميم الدارى الأمر على الرسول ﷺ واستحصل منه الإذن على أن يكون المنبر المصنوع ذا ثلاثة أرجل أو أربع وبعد صنعه عرضه على النبى ﷺ فأعجب به وأصبح منبره وصعد عليه لإلقاء خطبه.

وإذ ابتدر الرسول ﷺ فى إلقاء الخطبة صاعدًا على المنبر، فالنخلة التى استند عليها من سنين أخذت تنتحب وتصيح كالناقة التى فقدت وليدها وبعد فترة ما سقطت على الأرض وكادت أن تكون ألف قطعة.

وحينما رأى شفيق الكائنات ـ عليه أفضل التحيات ـ حالة النخلة هذه نزل من المنبر الجديد ودعا تلك النخلة واستجابت النخلة سالفة الذكر للدعوة النبوية شاقة الأرض فمسها بيده الشريفة المعجزة وأمرها أن تعود إلى حالتها الأولى فاستجابت لأمره ـ عليه السلام ـ ورجعت إلى مكانها الأول ووقفت معظمة الرسول فخاطبها الرسول قائلاً: «أيها النخلة! أين تريدين أن ترجعى إلى الحديقة التى قطعت

(١) انظر فتح البارى الحديث ٣٥٨٣ ـ ٣٥٨٥ وشرحه من كتاب المناقب.

منها؟ أم إلى رياض الفردوس، حيث تغرسين فى واحدة منها؟ فخيرتك فى اختيار أحد الأمرين، إذا أردت مكانك القديم أعيدك هناك! لتنمين وتكبرين وتثمرين كما كنت من قبل أما إذا أردت رياض الجنان أغرسك فى فردوس النعيم، حتى تستفيدى من أنهار الجنات وتجددين شبابك فى كل آن وتثمرين فيأكل من ثمارك أولياء الله» وبعد أن قال ضاحكًا «نعم قد فعلت»، فدفنها تحت المنبر الجديد وعلى قول على الجهة اليسرى منه أو فى المحل الذى كان مغروسا فيه.

مثنوى

قال النبى أيها العمود ماذا ترغب
قال قلبى من فراقك قد تلهب
منى لك عرشًا طلبت
وعلى منبرك عرشًا صنعت
تريد لك نخلة تزرع
وفى الشرق والغرب تمرها يجمع
قال أريد أن يدوم لها البقاء
اسمع أيها الغافل لا تكن أدنى من البلهاء
فدفن هذا العمود فى التراب
ليبقى فيه إلى يوم الحساب

إن راوى هذه القصة المليئة بالعبر الحسن البصرى، يروى أن الأصحاب الكرام قد تعجبوا من قول النبى ﷺ «نعم قد فعلت» وسألوه عن تفسير ذلك، فأجابهم قائلاً: «إن ذلك الخشب الجاف قد اختار الجنة، وإننى وعدته بأن أسعفه فى تحقيق طلبه»، وكان حسن البصرى يبكى وهو يزين لسانه بالمقال الآتى: «يا عباد الله الذين فطرهم بالعقل والشعور! بينما تنتحب الأشجار الجافة لمفارقتها الرسول ﷺ، بينما نحن من أمته!! هل يليق بنا أن نظل ملتفين بستائر الغفلة».

وكانت تلك القطعة من النخلة فى يمين محراب النبى ﷺ وملتصقة بجدار القبلة، وفى وقتنا فى مكان قاعدة الشمعة التى على يمين محراب الأئمة.

وإن كان يروى أن هذه القاعدة توجد فى الجهة الجنوبية منها أسطوانة وهى فى مكان قطعة النخلة المذكورة إلا أن هذه الرواية غير صحيحة.

ويعرف المحدثون الكرام هذه الواقعة بحنين الجذع والجذع هو جسم الشجرة ابتداء من جذورها إلى فروعها، والحنين هو الأنين من شدة الشوق، وقد روى هذه الواقعة تسعة من الصحابة مثل أبى ابن كعب، جابر بن عبد الله، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، سهل بن سعد أبو سعيد الخدرى، أم سلمة والمطلب بن أبى وداعة، أى أن الوقعة قد نقلت متواترة، لذا فلا شك فى صحتها.

استطراد

وقصة حنين الجزع وصورة وقوعها ذكرها الإمام البخارى[1] والنسائى والإمام أبو ـ داود عليه رحمة الله الودود ـ ناقلاً عن جناب جابر رضى الله عنه الذى قال: كان النبى ﷺ إذا خطب اتكأ إلى جذع من سوارى المسجد، فلما صنع المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التى كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق فنزل عليه السلام حتى أخذها فضمها إليه، وكانت تئنّ أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت، قال النبى ـ عليه السلام ـ بكت على ما كانت تسمع من الذكر.

وقد صدقت الرواية بهذا الحديث الشريف يعنى أن حضرة جابر قال وهو يبسط تلك القصة بينما كان النبى ﷺ معلم العالم يخطب مستنداً لإحدى أساطين مسجد السعادة وهى جذع نخلة وكان يتحدث عن الأوامر والنواهى الشرعية وأحكامها ويوصلها إلى مسامع المسلمين، ولما توسطت شمس الإيمان كبد السماء وماج بحر حقائق الحكمة ودخل قبائل العرب والعجم بناء على السر الجليل الذى يقول «يدخلون فى دين الله أفواجا» واقتحموا شعار الإسلام وبعد ما كانت الفرقة الناجية المؤمنة قطرة فأصبحت بحراً وبعد أن كانت ذرة أصبحت شمساً

(١) فى كتاب المناقب الحديث، ٣٥٨٣ ـ ٣٥٨٥، باب علامات النبوة فى الإسلام.
فتح البارى ٦/٦٩٦ ـ ٦٩٨ ط. الريان.

وهكذا تزايدوا وكثروا فأصبح الذين يظلون فى آخر المسجد النبوى من البررة الكرام لا ينالون متعة رؤية وجه النبى الجميل ويتمتعون بصوت النبى ﷺ ويحرمون من فوائد فرائد ألفاظ حبيب الإله وذلك لشدة الزحام فصنعوا منبرًا جديدًا فصعد النبى ﷺ فوق المنبر وجلس عليه، عندئذ صاح العمود صيحة حنين حينًا وأن أنينًا آخر حتى كاد أن ينشق قطعتين وسمع أهل المجلس صيحة الجزع الأليمة بآذانهم، ونزل النبى ﷺ من المنبر رحمة بحال العمود الحزين وضمه بصدره وعانقه بكل رقة وشفقة. ومن هنا أخذ الجزع يبكى ويئن كصبى صغير وفى آخر الأمر سكن من تسلية الرسول ﷺ له كما يسكت الطفل عندما يسليه أبوه وأمه وانقطع عن الصيحة والأنين وبناء على خطب الرسول ﷺ فى أصحابه الكرام قال يا أمتى وأصحابى! قد أن هذا العمود وبكى لأنه تأثر من مفارقته ما سمعه من الذكر والتسبيح الخاصين بالأوصاف الإلهية. انتهى.

هذه المعجزة من المسائل المشهورة والمصدقة بين الأئمة. قد حكى مؤلف المناقب الشافعية ابن أبى حاتم نقلاً عن والده عن عمرو بن سَوَّاد عن والإمام الشافعى أن الإمام الشافعى قال: «إن النبى الأكرم قد أعطى الله له من المعجزات ما لم ينعم به على أحد من الأنبياء» وحكى ذلك فى صورة مفصلة. يقول عمرو بن سواد: «كنت قد قلت أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد أعطى معجزة إحياء الموتى» قال الإمام الجليل «وقد أنعم الله على النبى ﷺ بمعجزة حنين الجزع حتى سمع صوت الجذع، وهذا أكبر من معجزة إحياء الموتى»[1].

قد روى بكاء الجزع وأنينه وصيحته بسبب فراقه الأليم للنبى ﷺ، سواء أكان المؤرخون أو العلماء الذين شغلوا أوقاتهم من أئمة الحديث بنقل الأخبار النبوية وإخراجها، يعنى أن الأصحاب الكرام ـ رضى الله عنهم ـ الذين حضروا أحداث القصة المشروحة فى يوم وقوعها وسمعوا بآذانهم حديث حنين الجزع كأبناء البشر ونطقه وهو يعرض حاله للنبى ﷺ وأقاموا على ذلك بينة عادلة إلا أن زمرة

(١) انظر: فتح البارى ٦/٨٩٨.

المعتزلة والفلاسفة حملت حديث الأحجار والحبوب، والأشجار والنباتات على المجاز وتجرءوا على تأويل معجزة حنين الجزع وقالوا إن حنين جذع النخلة وأنينه قد أسمع للنبى ﷺ وأصحابه المختارين سماعا باطنيا وملكوتيا مع أن القول الصحيح سماع أنين ذلك العمود وصياحه ظاهرًا بالأذن، وبعض العلماء الذين يشغلون أنفسهم بتأويل هذا القول وتوجيهه ينكرون مثل المعتزلة والفلاسفة أن الجمادات والنباتات والحيوانات يعرفون الله ورسوله وأنها تسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحًا حقيقيًا، لأن أكثر علماء الكلام الذين اختاروا مذهب المعتزلة والفلاسفة حملوا الكلام والصيحة اللذين ظهرا من الجزع على المجاز قطعيًا وقالوا، لم يكن فى الجزع شعور حتى يصدر منه صوت، يمكن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أظهر الكلام كمعجزة للنبى ﷺ فى ذلك الوقت، لأن النطق والكلام والتقديس والتسبيح والخوف والخشية فى حاجة إلى العقل والعقل فى حاجة إلى الحياة والحياة فى حاجة إلى اعتدال مزاج وجوارح وأجهزة مستعدة للنطق والكلام، وإن التسبيح فى قول الله تعالى **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** (الإسراء / ٤٤) تسبيح بلسان الحال، وأولوا الخشية التى فى قول الله تعالى **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** (البقرة: ٧٤) إنها انقياد وطاعة بناء على فحوى أن الخشية مجاز عن الانقياد وحملوها على الانقياد كما حملوا ما صدر من عمود الحنان من صياح على المجاز.

مثنوى

قل ما تقول ما لم يكن من يعلمون
ولك أن ترد كل ما يقولون
ما أكثر هؤلاء المتشككين
وهم فى شكهم يعمهون

ومع هذا فقد رد أصحاب المشاهدة والمشايخ الصوفية كما بين فى تفسيرى معالم التنزيل، وأبى الليث ردًا قويًا على جماعات الفلاسفة والمعتزلة وأبطلوا تأويلاتهم فى هذا الخصوص وأظهروا الحقيقة.

مثنوى

فى مجلس وعظ يختص بالحاضرين
فيه ترى الشباب والشيوخ مزدحمين
وقع فى الحيرة أصحاب الرسول
من صيحة عمود ذى عرض وطول

وقد عَرف كاشف الأسرار مولانا جلال الدين الرومى وهو من كبار أهل المكاشفة والمشاهدة وبين فى كثير من مواقع كتابه المثنوى الشريف أن الجمادات والنباتات والحيوانات تنطق وتسبح وتهلل.

مثنوى

كما تعلم من يتجه بالخطا إلى الله اعلم
أنه من يقطع العلائق بينه وبين دنياه
كل من كانت له صلة بالله وجد
الحبيب وانقطع عن كل ما سواه

حكاية

قال أحد الأشخاص من كبار المشايخ لإخوانه حتى يبين لهم درجة فيكنون له من المحبة ـ بقدر إدراكهم وفهمهم ـ ويبين لهم ماهية المحبة فى الحقيقة ويرشدهم كلهم مرة واحدة: «إذا كنتم تحبوننى، اخرجوا لهذه الصحراء وهاتوا لى زهر الشتاء على قدر محبتكم لى»، وقد جمع كل واحد من الدراويش الذين خرجوا إلى الصحراء بنية خالصة لكسب محبة شيخهم ما استطاعوا وحملوه إليه. وقد أحضر أحد الدراويش غريب الأطوار وأكثرهم عشقًا وقلبه مكشوف وكبده محروق بنار الحب الإلهى نَبْتَةً واحدة جافة خالية من الرائحة وعرضها على

شيخه، وعندما قال له شيخه يا ترى أنك تحبنى بهذا القدر فقط؟ ألا ترى أن إخوانك أتى كل واحد منهم بحزم من الزهر؟، فقال له الدرويش: «يا سيدى إن الحقير يحبكم أكثر من جميع الإخوان، إلا أننى كلما مددت يدى لأقطف زهرة وجدتها مشغولة بذكر الله وتسبيحه ورأيت ذلك بعينى وسمعت بأذنى، ومن هنا خفت من أن أكون مانعًا فى الاستمرار فى تسبيحها وذكرها فلم أتجرأ على قطفها، وهذه النبتة التى تجرأت على تقديمها لك كانت قد فرغت عن التسبيح والتهليل فاصفرت وذبلت وجفت فأخذتها وأتيت بها!!!» وبهذا بين أن النباتات تسبح الله وتذكره وتنطق وهى حية فَصَّلَ ذلك. انتهى.

وخلاصة الكلام إذا أراد الإنسان أن يسمع نطق النباتات بأذنه حقيقة يجب عليه أن يرفع من نفسه الموانع المعنوية والحجب البشرية وستائر العقلانية وهو يسعى لمعاشه أن يزيلها من فوق أسماع روحه وأن يجرد بصيرته من غشاء الغفلة والعمى وغطاء البطالة والكسل وإلا فالذين قد سدت أسماع عقولهم بسدادة الغفلة فلابد وأن ينكروا ذلك السر الجليل حاملين ذلك على المجاز. انتهى.

استطراد

اختلف المؤرخون فى الشخص الذى صنع منبر السعادة وقال بعضهم «أنه من صنع معمارى الكعبة المعظمة باقوم»، وقال بعضهم صنعه نجار يسمى «ميمونة» وقال بعضهم صنعه عبد العباس، فقابله قائلاً: «بما أن حضرة عثمان بن عفان خليفة رسول الله ﷺ قد خلص من اختيار عمل مرهق صعب فمن هنا فله عليكم حقوق كثيرة! لو لم يكن عثمان بن عفان على الدرجة الثالثة من منبر خطيب الإسلام ﷺ الزم على ذات عظمتكم أن تخطبوا فى أسفل السافلين من قبر الأرض» وبهذه الإجابة المح بأن طعن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ غير لائق؛ رحمة الله عليه رحمة واسعة.

فى ذكر عدد المرات التى جدد فيها منبر السعادة وعدد المرات التى عمر.

ظل المنبر الشريف إلى عهد الحكم ابن أبى سفيان على الهيئة التى صنعها باقوم النجار، كما ذكر من قبل.

أراد معاوية عندما عاد من مكة المكرمة أن يأخذ المنبر الشريف إلى الشام بعد أن أضاف إليه درجتين إلا أنه لم يوفق فى ذلك، وأحد أسباب عدم نجاحه فيه بل سببه المستقل المهم هو كسوف الشمس؛ لأنه قد حدث كسوف مفزع، عندما أمر بفك المنبر الشريف وحله فأظلمت الدنيا حتى ظهرت النجوم فى السماء وتحولت مدينة الرسول إلى سجن مظلم واستولى الفزع والقلق على أهل المدينة وأخذوا يطلقون ألسنتهم ضد ابن أبى سفيان، وإذ رأى ابن أبى سفيان أن سكان دار السكينة سيقومون كلهم ضده وأن نقل منبر السعادة سيؤدى إلى شر عظيم وسيحطم القلوب، غير أفكاره بسرعة ومهد لها قائلاً: «ليس قصدى نقل المنبر الشريف إلى الشام! إذ رأيت بعض أجزاء منبر السعادة قد بليت بمرور الزمن، وخفت من سقوطه؛ لذا أردت أن أطهر وأسوى تحته وأن أصلح وأرمم أجزاءه التى مالت للسقوط والانهدام!!!» وبسط عذره بهذا الشكل فسكن من ثائرتهم وطمأن علماء المدينة بهذه الطريقة ثم قفل راجعا إلى الشام فى سنة ٤٩هـ.

وكان غرض معاوية من محاولة نقل منبر السعادة إلى الشام، بناء على قول ابن الأثير، هو أن يجافى أهل المدينة ويهينهم لأنهم تغافلوا عن قتل عثمان بن عفان وتهاونوا فى قتله، وحاول أن يأخذ عصا النبى ﷺ المحفوظة لدى سعد القرظى أيضًا، وكان أبو هريرة وجابر بن عبد الله قالا له لا يجوز انتزاع منبر النبى الذى وضعه بنفسه من مكانه إلا أنه لم يعر سمعًا لأقوالهما، إلا أن كسوف الشمس التى تنير العالم ـ كما عرف آنفًا ـ وظهور النجوم الزاهرة وانكشافها نهارا

جعله ترك التعرض لمنبر السعادة ولم يستطع أن ينفذ ما فى ضميره ومن هنا فهم أنه غير مصيب فى رأيه ومخطئ فى اجتهاده.

وقال بعض المؤرخين الذين ذهبوا إلى أن الذى أراد أن يقلع منبر السعادة من مكانه هو مروان بن الحكم.

أمر ابن أبى سفيان واليه فى المدينة المنورة مروان بن الحكم أن يقلع المنبر الشريف من مكانه وأن يرسل به إلى الشام وذلك من خلال الرسائل الخاصة، وقد فتح مروان ابن الحكم رسائل معاوية وقرأها وتجرأ أن يرسل بعض النجارين على أن ينتزعوا منبر السعادة من مكانه ليرسل إلى الشام، وذلك دون أن يخبر أحدا، إلا أن الجو اكفهر فجأة وأظلمت الدنيا حتى أصبحت العيون ترى عيونا كما أن عاصفة هوجاء ثارت وملأت قلوب الناس رعبًا فاستغرقوا فى بحار الهم والغم ومن هنا غير ابن الحكم رأيه بناء على هذا وغير الأمر الذى أصدره للنجارين وطلب منهم أن يضيفوا إلى المنبر ثلاث وعلى قول ست درجات وهكذا أوصل درجات المنبر إلى تسع درجات.

وأكثر المؤرخين على أن أحدًا لم يزد من درجات منبر السعادة قبل ابن الحكم كما أن أحدا من بعده لم يتجرأ على أن يقوم بهذا العمل المستكره وأثبتوا ذلك بإيراد أدلة مقنعة.

واستأذن المهدى العباسى الإمام مالك قائلاً: «إننى أريد أن أعيد المنبر الشريف لسابق عهده» وتصور أنه يستطيع أن يهدم الدرجات التى أضيفت من قبل مروان ابن الحكم وأراد أن يعيده لحالته الأولى على الهيئة التى صنعها باقوم النجار؛ إلا أنه قد تخلى عن فكرته هذه بناء على قول الإمام مالك: «قد صنع المنبر الشريف من خشب شجرة الطرفاء وسمر ما أضافه مروان على المنبر القديم» وبهذا قد أفهم المهدى أن ترك المنبر الشريف على حالته هذه لا يخلو من الحسنات، وبناء على هذه الرواية فإن الأمر يقتضى قبول الرواية الثانية وتصديقها، والتى مفادها أن مروان بن الحكم هو المتشبث بنقل منبر السعادة إلى الشام.

وقال ابن الأثير مبينًا أن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حاولا أن ينقلا المنبر الشريف إلى الشام إلا أنهما لم يوفقا فى ذلك، حينما أصبح عبد الملك بن مروان ملكا على بلاد الشام قام محاولا لنقل منبر السعادة إلى الشام إلا أن حضرة قبيصة بن ذؤيب قال له يا عبد الملك تذكر ما حدث فى عهد معاوية، وقرأ له الحديث الذى ورد فى حق المنبر الشريف.

وبناء على هذا تراجع عبد الملك عن فكرته هذه، وأراد الوليد بن عبد الملك أن يحقق فكرة أبيه فى أثناء حجه إلا أنه لم يوفق أيضًا فى مسعاه.

إن قاعدة منبر السعادة، الذى كان من اختراع باقوم ذراع مربع واحد وكان ارتفاعه ذراعين وكان له ثلاث درجات مع مقعده وتبتعد كل درجة عن الأخرى مقدار شبر واحد وفى الوسع شبرين وأضاف مروان بن الحكم فيما بعد لدرجاته ست درجات من الأسفل وبهذا ابلغ ارتفاعه إلى سبعة أذرع من حيث قاعدته كما أبلغ درجاته إلى تسع درجات؛ وبناء على هذا الحساب يلزم أن تصل درجات المنبر المنير مع مقعده إلى تسع درجات وارتفاعه إلى ستة أذرع، ولكن بما أن للمنبر القديم أساس طوله ذراع واحد فارتفاع المنبر ستة أذرع وطول سطحه ستة أذرع.

كان عرض باب المنبر القديم السعيد أى ما بين عموديه خمسة أشبار، وقد كسا مروان بن الحكم جميع درجات المنبر من جهاتها الأربع بخشب أبنوس فى غاية الرقة ما عدا الدرجة الثالثة التى كانت خاصة لجلوس النبى ﷺ، إذ غطاها بقطعة واحدة من خشب الآبنوس اللامعة كما رفع فوقها قبة حتى يحفظ مجلس النبى ﷺ من جلوس الآخرين.

والقباب المزينة التى ترفع فوق المنابر فى أيامنا هذه فكأنما للإشارة إلى الدرجة التى كان يجلس عليها صاحب الرسالة ﷺ.

قد قام الإمام البخارى «عليه رحمة البارى» بزيارة المنبر القديم الذى أعلى ارتفاعه وعمر درجاته مروان بن الحكم ذاتيًا وبين لأحبابه أن المنبر الشريف

محفوظ بألواح خشبية من الآبنوس وذكر لهم ذلك، وكان زوار تلك الأيام يحرصون على زيارة تلك اللوحة التى تشبه المسلة والتى وضعت فوق الدرجة الثالثة ويقتحمون المكان للتبرك، وهذا الحرص لاقتحام المكان يدل على أن المنبر القديم كان قد حفظ بألواح خشبية من الآبنوس.

وخلاصة القول بناء على تحقيقات المؤرخين ورواية الإمام البخارى وتعريفاتهم يثبت أن المنبر القديم قد رفع فوق المنبر الجديد الذى صنع فى عهد مروان بن الحكم، وقد أشرف المنبر الذى صنع فى عهد مروان بن الحكم على السقوط والخراب ومال للانهدام ومن هنا قد هدم حتى الأرض وجدد فى سنة ٥٧٨ هـ وقد صنع من قطع خشبه غير الصالحة للاستعمال أنشاطا وأرسل لأشراف المماليك والبلاد للتبرك بها.

قد وضعت لوحة خشبية أخرى فوق مستراح النبى فى المنبر المجدد وترك مكانًا مكشوفًا حتى يستطيع أن يتبرك به الناس وترك باب المنبر مفتوحًا أيام الجمع ليتبرك الناس بمستراح النبى وأغلقت بقية الأيام الأخرى، واحترق المنبر الشريف فى سنة ٦٥٤هـ مع مستراحه وظل المسجد الشريف بدون المنبر ومن هنا أرسل حاكم اليمن السلطان مظفر منبرًا جميلاً بعد سنتين من الحريق.

وكان للمنبر الذى أرسله الملك المظفر عمودان منحوتان من خشب الصندل فى غاية الجمال، وقد وضع اللآلئ مكان المنبر القديم وألقيت الخطب عليها ما يقرب من عشر سنوات، وفى سنة ٦٦٦هـ رفعوا هذا المنبر ووضعوا مكانه المنبر الذى أرسله «الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى».

وكان ارتفاع المنبر الذى أرسله ركن الدين البندقدارى أربعة أذرع وكان طوله يتجاوز سبعة أذرع وكان له تسع درجات وكان هذا المنبر بالنسبة للمنابر الأخرى ذات مميزات تستحق التقدير والثناء من وجوه شتى، وكان لهذا المنبر باب ذو مصراعين وفوق كل مصراع رمانة فضية وكانت الرمانتان تظهران فى داخل المسجد النبوى كجسمين فضيين محبوبين وكان فوق رمانة الباب الأيسر اسم صانعه وشهرته؛ وكان فى صحبة المنبر الشريف أحد صلحاء النجارين يطلق عليه

أبو بكر النجار حتى يضع المنبر فى مكانه ويركزه بالضبط، وكره هذا الشخص العود إلى بلاد مصر بعد أن وضع المنبر فى مكانه وظل فى المدينة المنورة إلى آخر عمره.

وقد وضع المنبر الذى أرسله ركن الدين البندقدارى فى مكانه ورصنت وأصلحت الأماكن التى تحتاج للترصين والإصلاح إلا أن أماكنه الملاصقة للأرض أخذت تَبْلَى فى سنة ٧٩٧ هـ وعلى هذا أرسل من قبل «الظاهر برقوق المصرى»[١] منبرًا فى غاية التزيين والترصيع وانتزع المنبر الذى أرسله «ركن الدين البندقدارى» من مكانه فى أواخر السنة المذكورة ووضع مكانه المنبر الذى أرسله «الظاهر برقوق» وبناء على هذا الحساب فإنه ما أمكن استخدام منبر ركن الدين البندقدارى الجميل أكثر من ١٣١ سنة.

وبعد أن وضع منبر «الظاهر برقوق المصرى» مكانه بثلاث وعشرين سنة أرسل «الشيخ المؤيد المصرى»[٢] منبرًا لطيف المظهر فرفع منبر برقوق ووضع مكانه منبر الشيخ المؤيد وذلك فى سنة ٨٢٠ هـ.

وكان المنبر الذى أرسل من قبل الشيخ المؤيد غاية فى جمال الصنعة ولا مثيل له ومزينًا وأجمل من المنبر القديم من حيث الصنعة ولكن لشدة الأسف قد احترق مع المسجد الشريف فى حريق سنة ٨٨٠ هـ وانمحى ذكره بعد وضعه فى مكانه لستين سنة.

وكان المنبر اللطيف سالف الذكر زاد ارتفاعا ستة أذرع وثمانية أصابع وكان طوله السطحى ثمانية أذرع واثنى عشر إصبعا وله تسع درجات وبين كل درجة فاصلة ذراع ونصف ذراع وكان موضوعًا فى جهة السور الخشبى الذى فى الناحية القبلية من الروضة المطهرة أى فى خارج الجدار القبلى الذى صنع فى عصر السعادة بثلاثة أذرع.

وظل مسجد المدينة بعد حريق ثمانمائة وثمانين مدة ست سنوات بدون منبر،

(١) هذا الشخص أول ملوك الشراكسة الذين حكموا مصر.

(٢) وكان الشيخ المؤيد رابع ملوك الشراكسة وكان معروفًا باسم الملك المؤيد الشيخ المحمودى الظاهرى.

وبما أن ملوك البلاد الإسلامية لم يرسلوا خلال هذه الفترة منبرًا ليوضع فى مسجد المدينة فبنى سكان دار السكينة فى مكان ما من المسجد منبرًا من اللبن ظانين أنه محل المنبر القديم وجصصوا داخله وخارجه وذلك فى سنة ٨٨٦ هـ وأخذ خطباء مسجد السعادة يخطبون فوق هذا المنبر، وبعد سنتين هدم هذا المنبر وقلع من مكانه وركز مكانه المنبر الذى أرسله «قايتباى» المصرى وبهذا تغير مكان المنبر الذى صنع فى عصر السعادة؛ لأن السلطان قايتباى المصرى كان قد صنع منبرًا حجريًا وأرسله، وذلك فى سنة (٨٨٨) هـ وقرر هدم المنبر الذى صنعه أهالى المدينة المنورة فى خلال شهر رجب الفرد من نفس العام، وحفروا الأساس ليوضع مكانه المنبر الجديد ولم يجدوا حيث حفروا أساس المنبر القديم فتركوا هذا المكان وحفروا مكانًا آخر؛ وظهرت بقية أساس المنبر القديم فى الجهة الشرقية من المكان المحفور للمرة الثانية، إلا أن القائمين لم يطمئنوا أن هذا المكان هو مكان الأساس القديم فتركوه وأمروا بحفر مكان آخر إلا أن علائم الأساس القديم لم تظهر فى هذا المكان أيضًا، وعلى هذا أصر شمس الدين بن زين متعمدًا على أن يوضع المنبر حيث حفر أول مرة أى فى المكان الذى بنى فيه أهل المدينة المنبر الترابى قبل سنتين مع أن أهل المدينة لم يفكروا فى التحرى عن أساس المنبر القديم كما أنهم لم يحاولوا بناء منبرهم على أساس المنبر القديم.

وقد أتى الإمام السمهودى بأدلة واضحة على أن المكان الذى حفر للمرة الثانية حيث وجدت بقايا الأساس القديم أنه المكان الذى وضع فيه باقوم النجار أساس المنبر الذى صنعه فى عصر السعادة، وبين أن المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى المصرى يجب أن يوضع فوق تلك الحفرة وكسب فى هذا الصدد كثيرًا من المؤيدين له من العلماء إلا أن «شمس الدين بن زين» أصر على فكرته وتنفيذ رأيه الفج، وادعى أن أهل المدينة حينما بنوا منبرهم فى سنة ٨٨٦ هـ بالتخمين بنوه على أساس المنبر القديم، وعلى هذا يجب أن يوضع هذا المنبر فوق أساس منبر أهل المدينة ولن أتنازل عن هذا، وابتدأ فى تنفيذ رأيه وأمر بردم الحفرة التى أشار إليها الإمام السمهودى وركز المنبر فى المكان الذى حفر أولاً ثم ترك بناء على

الشك فيه، لأجل ذلك وضع المنبر الجديد بعيدًا عن أساس المنبر القديم بثلاثة وعشرين أصبعًا فى الجهة القبلية يعنى قد أدخل المنبر الجديد مقدار ٢٣ إصبعًا فى داخل الروضة المطهرة بناء على إصرار شمس الدين بن زين فضاقت ساحة الروضة المطهرة مقدار ٢٣ أصبعًا عن مساحتها الأصلية وخلاصة القول أن المنبر الجديد قد أدخل قدر خمسة أصابع من المنبر القديم إلى الجهة الشرقية من المسجد الشريف وضع طول المنبر الجديد السطحى أطول من طول المنبر العتيق قدر ثمانية عشر أصبعًا ومن هنا صغرت الروضة المطهرة قدر ٢٣ أصبعًا.

استخدم المنبر الذى وضعه السلطان قايتباى المصرى تحت نظارة شمس الدين بن زين ما يقرب من مائة واثنتى عشرة سنة ولم يتقدم أحد بهذه الفترة لصنع منبر آخر أو إرساله، ولكن السلطان مراد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ من السلاطين العثمانيين المعروفين بكثرة خيراته وميراثه أراد أن يقوم بخدمة خاصة بنية خالصة للمدينة المنورة؛ ولذا أرسل منبرًا مزينًا فى غاية الجمال والصنع وأرسل معه كثيرًا من النجارين المهرة والمهندسين المتفننين وأمر أن يوضع هذا المنبر مكان منبر السلطان قايتباى المصرى وأن يعمر ويجد له ما يقتضى تعميره وتجديده من مسجد السعادة بهذه المناسبة.

وبين أهالى المدينة للسلطان أن مسجد السعادة ليس فى حاجة إلى التعمير والتجديد وإن كان تنفيذ الأمر السلطانى واجبًا على كل فرد إلا أن تجديد المسجد بدون مسوغ شرعى لا يجوز، إلا أن السلطان أمر مؤكدًا أن يوضع المنبر الجديد الذى أرسله فى المكان الذى عينه مطلقًا وأن تصلح الآثار الأخرى التى تحتاج التجديد والإصلاح ومن هنا قلعوا المنبر القديم ووضعوا مكانه المنبر الجديد الوارد من استانبول وذلك فى سنة ٩٩٨ هـ.

وكان للمنبر الذى أرسل من قبل السلطان مراد تسع درجات فى داخل بابه وثلاث درجات فى خارجه وكانت جملة درجاته اثنتى عشرة درجة ويصعد إلى

باب المنبر من الأرض بثلاث درجات وكانت ظلة علمه من الفضة وكان غطاؤه من جوخ أحمر وستارة بابه من الأطلس الأخضر.

بعد وضع المنبر الذى أرسل من باب السعادة فى مكانه نقل المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى إلى مسجد قباء وبعد ما تم وضع ذلك المنبر فى مكانه، أصلحوا وعمروا المساجد التى تحتاج إلى الإصلاح وكذلك الأماكن المقدسة الأخرى، والمنبر الكائن الآن هو ما أرسله السلطان مراد خان ـ عليه الرحمة والغفران ـ من باب السعادة ومازال جديداً كأنه صنع اليوم.

قد جدد المنبر الذى صنعه وجدده مروان بن الحكم سنة ٥٧٨ هـ ومع ذلك جدد وبدل ثمانى مرات فى خلال ثلاثمائة وإحدى وسبعين سنة، وقد أرسل منبر السلطان مراد قبل يومنا هذا بـ ٣٠٣ سنة ومع ذلك ظل سليمًا متينًا وكأن النجارين قد انتهوا من صنعه اليوم، وإذا ما نظر لهذا يفهم مدى متانة هذا المنبر ورصانته.

إن المنبر اللطيف الذى أرسل ليوضع فى ساحة مسجد السعادة ذات الفيوضات بكل تعظيم وتوقير من باب السعادة صنع من رخام مجلى وحك أعلى طاقته هذا التاريخ بعبارة سلسلة.

أرسل السلطان مراد بن السليم
مستزيداً خير زاد للمعاد
دام فى أوج البلاد سلطاننا
آمنًا فى ظله خير البلاد
نحو رضى المصطفى صلى الله على
ربنا الهادى به كل العباد
منبر قد أسست أركانه
بالهدى واليمن من صدق الفؤاد

منبـــر يعـــلى الهـــدى أعـــــلاه

دام منصـــوراً لأصـحاب الرشـــاد

قـال سـعد ملهـمًا تاريـخه سـلطان مـراد

منبـــــر عمـــــــر ســـــــنة ٩٩٨

وبعد وضع منبر السلطان مراد فى موضعه تم نقل منبر السلطان قايتباى إلى مسجد قباء، وتمت إقامة مدرسة تقابل مسجد قباء ومدرسة أخرى بالقرب من مسجد الصديق، وتم بناء رباط وخصصت واردات كافية لمعاش سكانه، وبعد المحاسبة وجد أنه قد بقيت مبالغ كثيرة ورخام ولما تحقق ذلك استخدم هذا الرخام والعقود فى بناء محفل لمؤذنى حرم باب السعادة للتكبير محفلاً فى غاية الجمال فى سنة ٩٩٨ هـ.

إن مقصورة المؤذنين كانت مصنوعة من الرخام الخالص وبما أن مسجد السعادة كان خاليًا من المقصورة للمؤذنين فى ذلك الوقت، سر جميع مسلمى الأرض من بناء هذه المقصورة وقرءوا الفاتحة داعين للسلطان، ولما جدد والد السلطان كثير المحامد السلطان عبد المجيد بصورة أجمل من المقصورة سالفة الذكر أسس مكبرية من الخشب أيضًا فى سنة ١٢٦٧هـ.

والمقصورة الرخامية فى داخل الروضة المطهرة والمكبرية الخشبية فى نهاية الحرم الشريف، وإن كانت المقصورة الرخامية خاصة بالأيام العادية، والمقصورة الخشبية للتكبير خاصة بالمواسم وأيام الأعياد والحج إلا أنه فى الأعياد والمواسم يقوم المؤذنون بالتكبير فى كلتا المقصورتين ليسمعوا أصوات التكبير لجماعات المصلين كلهم.

إخطار

يطلق على الأماكن التى تمتد من صفة أصحاب الصفة إلى المئذنة السليمانية ومن هنا إلى المئذنة المجيدية ومن المئذنة المجيدية إلى باب الرحمة، تحت القبة وقد زينت نوافذ هذه وجميع القباب بالزجاج الملون ليمنع دخول المطر والغبار

obeikandl.com

وتركت أطراف بعضها مكشوفة لدخول الضوء والنور وكلها قد صنعت فى صورة محكمة رصينة قوية.

بدل الخلفاء العباسيون ستارة باب منبر السعادة وأعدوا ستارة من الحرير الأسود المنسوج واتخذوا تعليق الستارة السوداء عادة لهم، واستصوبوا ترك الستارة معلقة ليلاً ونهاراً وتركوا إجراء ذلك لشيخ خدم الحرم الشريف؛ وبعد ذلك تذكروا الحادث الذى وقع فى أيام عبد الله بن الزبير وقرروا أن تعلق الستارة فى أيام الجمع خائفين من وقوع تلك الحادثة مرة أخرى؛ لأنه حدث أن سرقت امرأة فى عهد عبد الله بن الزبير ستارة المنبر الشريف وأقيم عليها الحد الشرعى وقطعت يدها.

اعتاد البغداديون تجديد ستارة المنبر الشريف وكانوا يرسلون ستارة كل سنة، وتكاثرت مع مرور السنين الستائر فى خزانة النبى ومن هنا تقرر فى خلال سنة ١٣٨ هـ وفى عهد عبد الله الحارثى أمير المدينة إرسال ستارة كل ست سنوات مرة، وأرسلت فيما بعد كل سبع سنوات، وفيما بعد كل عشر سنوات. إلا أنه فى زماننا ترسل من عيد الجلوس إلى عيد الجلوس، إلا أن السلطان محمود بن عبد الحميد والسلطان عبد المجيد خان المرحومين أرسلا مرتين كل سنة.

كانت هذه الستائر ترسل إلى المدينة فى صورة غير منتظمة إلى دور إسماعيل بن محمد ناصر الصالحى من الملوك المصريين وهذا الشخص قد أخذ من بيت مال الحكومة المصرية قرية ووقفها لصنع كسوة لمنبر السعادة والحجر الشريف فى مصنعها وجعل ذلك من عاداته الحميدة وبناء على هذا كانت هذه الستائر تبدل كل خمس سنوات أو ست سنوات على قول آخر، أما فى زماننا فلا ترسل كسوة بل ترسل ستارة وكانت هذه الستائر تعلق يوم الجمعة إلى الانتهاء من إقامة صلاة الجمعة وبعد ذلك كانت ترفع بواسطة موظفين خاصين وتوضع فى المخزن الذى بجانب باب جبريل، وإن كان حفظ ستائر المحاريب والستائر التى تعلق فى شبكة حجرة السعادة حفظها فى المخزن سالف الذكر من الأصول المتبعة؛ إلا أنها لا

تعلق فى أيام الجمع بل ينحصر تعليقها على أيام مواسم الحج إذ تعلق عندما يأتى الزوار لزيارة المدينة المنورة وكانت هذه الستائر كلها مصنوعة من الأقمشة الغالية ونقشت على الأطلس الأخضر بخيوط من ذهب خالص العيار ونقشت عليها الأماكن الخاصة بتعليقها كما أن فى زواياها نقشت أسماء الخلفاء الراشدين.

إلى قرب تولى مشيخة شيخ الحرم المرحوم حافظ محمد باشا لم يكن تعليق الستائر فى شبكة السعادة من الأصول المتبعة ومن هنا كلما كنس مسجد السعادة امتلأت شبكة الحجرة الشريفة بالغبار، وبلغ المرحوم حافظ باشا والأهالى عتبة باب السلطان وعرض عليه أن تعلق حول شبكة السعادة ستارة كما أرسل مقاييس الستائر اللازم صنعها من حيث الطول والعرض والارتفاع.

وبناء على الأمر الصادر من السلطان صنعت ستائر من أطلس أخضر فى غاية جمال الصنع والزينة وأرسلت إلى المدينة المنورة فى سنة ١٢٨٢ هـ.

وكانت هذه الستائر مكونة من أربع قطع كل قطعة من جزئين منفصلين إلا أنها حينما وصلت إلى المدينة الطيبة كان حافظ باشا قد ودع الحياة، وقد سمر العدد الكافى من المسامير إلى الكمر التى تحمل قبة السعادة أى القبة الصغيرة الجميلة التى تحت القبة الخضراء وعلقت الستائر الواردة على هذه المسامير فى سنة ١٢٨٢هـ.

فى بيان الأساطين التى ركزت فى مسجد السعادة فى عصر النبى السامى ﷺ.

كانت الأساطين الأصلية لمسجد السعادة ثمانية أعمدة موزونة متساوية، وقد زيد مؤخرًا عدد أساطين المسجد الشريف المنيفة إلا أننا سنذكر هنا عدد الأساطين الشريفة التى كانت فى عصر السعادة فقط وسنخبر عن عدد الأساطين التى فى زماننا فى ذيل الصورة على شكل استطراد.

١ـ الأسطوانة المخلقة: هى الأسطوانة الأولى التى كانت فى عصر النبوة والتى كانت علامة على مُصَلَّى النبى ﷺ وقد اشتهرت بالأسطوانة المخلقة لأنها قد عطرت بالطيب.

كانت النخلة التى يستند إليها سلطان الأنبياء ـ عليه أجمل التحايا ـ متصلة بهذه الأسطوانة، وبناء على ما عرف قبل هذه الصورة وفى الصورة السابقة كان كرسى الشمعة الذى يقع يمين الإمام الذي يقف على محراب النبى مكان النخلة التى سبق ذكرها.

كان سلمة بن الأكوع يصلى دائمًا فى هذا المكان اللطيف وإذا ما سئل عن سبب ذلك يجيب قائلاً: إننى رأيت النبى ﷺ يصلى فى هذا المكان، يروى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: «إن أقدس مكان لأداء النوافل هو المكان الذى كانت فيه الأسطوانة المخلقة»، إلا أن فى الفرائض يلزم أن تصلى فى الصف الأول، قد كتبت على هذا العمود «هذه الأسطوانة المخلقة وتعرف الأسطوانة المخلقة بهذه الكتابة من بين الأساطين وبعض أجزاء هذه الأسطوانة ملصقة بجدار المحراب النبوى».

٢ـ أسطوانة عائشة: ولهذه الأسطوانة الموزونة ثلاثة أسماء أخرى وهى:

«أسطوانة القرعة، وأسطوانة المهاجرين، وأسطوانة المخلق» وقد كتب عليها بخط جلى جميل: «هذه أسطوانة عائشة رضى الله عنها» وهذه العبارة قد ذُهِّبَتْ وزينت بحالة جيدة ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن هذه الأسطوانة لائقة بأن تكون أسطوانة عائشة.

إن هذا العمود المبارك كان فى وسط المسجد الشريف وكانت هذه الأسطوانة قبل توسيع المسجد الشريف الأسطوانة الثالثة من منبر السعادة كذلك الأسطوانة الثالثة من قبر الرسول وكذلك الثالثة من جدار القبلة وكذلك الأسطوانة الثالثة من جهة الشام، وكان فخر العالم ﷺ يؤدى صلاته فى هذا المكان المقدس بعد تحويل القبلة بعشرة أيام وكان يخاطب أصحابه مستندًا لهذا العمود، ونقل مكانه فيما بعد إلى المحراب القديم السعيد.

وقد اعتاد كل من الصديق والفاروق الأعظم وعبد الله بن الزبير بن العوام وعامر بن عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهم ـ أداء الصلاة بجانب هذا العمود كما اعتاد المهاجرون الكرام أن يجتمعوا محلقين حول هذا المكان ليتداولوا الأفكار، وقد قال ملك ممالك الرحمة ـ عليه أجمل التحية ـ فى حق الأسطوانة المذكورة «إن فى مسجدى بقعة إذا كان الناس يعرفون قيمة هذا المكان وقدره لكانوا يجرون القرعة ليصلوا إلى هذا المكان محرمين» وهذا القول كان سببًا فى اشتهار ذلك العمود بأسطوانة المهاجرين وأسطوانة القرعة.

عندما نقلت أمنا عائشة زوجة الرسول ﷺ هذا الحديث أسرع أبناء الأصحاب الكرام الذين كانوا عندها باستكشاف ذلك المكان إلا أنهم لم يجدوا ذلك المكان بعد ما بذلوا جهودًا مضنية وإذا بعبد الله بن الزبير كان قد ظل فى المكان المشار إليه ليعرف ذلك الموقع المبارك، وقال أبناء الصحابة من الممكن أن تكون السيدة عائشة قد عرفت بمكان تلك البقعة المباركة لعبد الله بن الزبير ومن هنا جلسوا فى مكان خفى بعد أن تشاوروا فيما بينهم ليروا أين سيصلى عبد الله بن الزبير بعد خروجه من بيت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وبعد مدة دخل عبد الله بن

الزبير فى مسجد السعادة واستقبل أسطوانة المهاجرين وعلى قول آخر صلى على يمين تلك الأسطوانة وعلى هذا فهموا أن تلك البقعة المباركة التى ذكرت فى الحديث الشريف المكان الذى ركبت فيه أسطوانة المهاجرين فاعتادوا الصلاة فى ذلك المكان طول حياتهم.

وذهب بعض الرواة إلى أن البقعة المباركة المذكورة فى الحديث الشريف فى وسط قبر السعادة والمنبر الشريف، وقالوا، إن الدعاء الذى يقال فى هذا المكان يستجاب ويقبل لدى الله سبحانه وتعالى.

٣ـ أسطوانة التوبة: يقال لهذا العمود الشريف أسطوانة أبو لبابة[١] أيضًا. وسبب تسميتها بهذا الاسم أنه ربط نفسه بهذه الأسطوانة، إذ كان أبو لبابة يتلاقى كثيراً مع بنى قريظة فى الجاهلية.

ولما عجز بنو قريظة فى غزوة بنى قريظة عن مقابلة قائد كتيبة العز والعلا ـ ﷺ ـ طلبوا من النبى ﷺ راجين أن يرسل لهم أبا لبابة حتى يستعلموا منه طريق السلامة والنجاة، وقد استجاب لرجائهم فأرسل أبو لبابة داخل حصن بنى قريظة حيث استقبل بصيحات اليهود وعويلهم الرذيل ومزقوا وجوههم نادمين متحيرين وارتموا على الأرض من مكان لآخر وقالوا لأبى لبابة أبا لبابة! قل لنا الحقيقة حتى لا نضيع حقوقنا السابقة عليك، ما رأيك فى هذا الخصوص؟ هل نخرج من حصننا بناء على حكم محمد العالى؟ أم نستمر فى مقاومتنا؟ كيف ستنجو سفينة حياتنا؟ ما الرياح التى نتبعها حتى نرسل إلى ساحل السلامة؟ كيف يمكن النجاة من هذا الطوفان الذى سيغرق المال والثروة؟ وما الجهة التى يجب أن نتجه إليها حتى يمكن النجاة؟. وتعلقوا بأطراف ثوبه صائحين متضرعين.

وبما أن تعبيرات اليهود الرقيقة وكلماتهم التى تثير الشفقة والرحمة قد أثرت فى ضمير أبى لبابة فقال لهم: «يا قوم شؤم! ليس هناك طريق للسلامة غير الانصياع لحكم الرسول والخروج من الحصن وتسليم أنفسكم إلى الرسول ﷺ»

(١) أبو لبابة أخو بنى عمرو بن عوف بن الأوس.

وبعد هذه الإجابة أشار إلى حلقة، وكأنه يريد أن يلمح ويومئ أنهم حتى إذا خرجوا إلى الخارج من حصونهم ليسلموا أنفسهم لن ينجوا أن يكونوا طعمًا لحد السيف وكان غرضه من هذه الإشارة أن يشفق لحالة اليهود الميئوسة؛ ولكنه فى النهاية فهم الخطأ الذى وقع فيه سهوا وندم قائلاً يا ويلاه! إننى خنت الله ورسوله ثم عاد إلى المدينة المنورة دون أن يظهر لرسول الله، وجعل نفسه مقيدًا لتلك الأسطوانة، وقرر فى نفسه ألا يحل قيده حتى تقبل توبته وألا تطأ أقدامه حيث وجد بنو قريظة، حتى إن فى أوقات الصلاة كانت زوجته العفيفة تأتى وتحل قيوده وبعد أداء الصلاة كانت تربطه مرة أخرى، ودامت هذه الحالة أكثر من عشر ليال حتى أصاب أذنيه الصمم من صوت السلاسل وأصبحت عيناه لا تبصران ولما عرض أمره على قائد جنود الأنبياء ـ عليه أفضل التحايا.

وظل مربوطًا ست أو خمس عشرة ليلة على اختلاف الروايات إلى أن قبلت توبته وأبلغت الكيفية بالآية المنزلة للنبى ﷺ فتفضل النبى ﷺ، بحل سلاسل يديه المباركتين، حتى إن بعض الأصحاب الكرام قد أخطروا أبا لبابة بنزول الآية بخصوص إطلاق سراحه وأرادوا أن يفكوا سلاسله إلا أنه قد أقسم قائلاً لا، يجب أن يفك النبى السلاسل بذاته فلا أقبل أن يحلها الآخرون وبناء على هذا تلطف معدن الرحمة والشفقة بحل سلاسله بذاته وإطلاق سراحه، وأطلق بعد هذه الحادثة المشهورة على هذا العمود أسطوانة أبى لبابة بن المنذر.

قالت طائفة من المؤرخين إن سبب حدوث هذه الواقعة أى أن قيد أبى لبابة نفسه إلى أسطوانة التوبة وربطه نفسه هو تخلفه عن الاشتراك فى غزوة تبوك لأن النبى ﷺ عندما عاد قال لأبى لبابة لماذا تخلفت عن هذه الغزوة؟ فاضطرب أبو لبابة من السؤال ولم يجد جوابًا وذهب إلى الأسطوانة التى أمام غرفة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ وربط نفسه وأخذ يتجرع مصاعب الصبر والتحمل وأخذ يستغفر ما يقرب من سبعة أيام وفى النهاية نزلت الآية الكريمة التى تفيد قبول توبته فحلت سلاسله بواسطة السيدة أم سلمة، وقال بعضهم أيضًا إن ثمامة بن أثال الحنفى أيضًا قد قيد لتلك الأسطوانة.

كان إمام صف الأنبياء ـ عليه لوائح التحايا ـ كان يؤدى صلوات النوافل عند أسطوانة التوبة وفى كل صباح عقب الصلاة يتكئ على تلك الأسطوانة الموزونة ويحادث أصحابه.

وكان المساكين الضعفاء ومرضى المدينة والمسافرون والمؤلفة القلوب من الموحدين والمسلمون بلا مأوى ولا مسكن يجلسون بعد أداء صلاة الصبح وكان طبيب مرضى قلوب الأمة ـ عليه أطيب التحية ـ يشرف هذه الجماعة ويستند على تلك الأسطوانة ويقرأ الآيات التى نزلت تلك الليلة أو يفسر الرؤيا للذين رأوا الرؤيا فى تلك الليلة ويعرضونها على النبى ـ عليه السلام ـ ويستمر جالسًا فى ذلك المكان إلى طلوع الشمس.

وزادت تلك الجماعة وازدحم المكان إلى درجة لم يجد بعض الناس مكانًا للجلوس حتى أصبح التنفس صعبًا، وفى يوم من الأيام ضاق أشراف المدينة من كثرة الازدحام وتضايقوا، وأظهر بعض الناس سأمهم ومللهم فأنزل الله سبحانه وتعالى: «الآية الكريمة»

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. (الكهف: ٢٨).

فشغل الذين أظهروا مللهم وضيقهم بعرض ندمهم الشديد واستغفارهم.

كان سيد الخلق سيدنا محمد يعتكف بجانب هذه الأسطوانة وكان يأمر ببسط فراشه خلف أسطوانة أبى لبابة وفى رواية أخرى أن سرير فرشه يبسط فى الجهة القبلية من تلك الأسطوانة وكان يستند فى أيام اعتكافه على ذلك السرير. وبين أسطوانة التوبة والقبر الجليل أسطوانة أخرى.

وبناء على قول عبد الله بن عمر أن أسطوانة أبى لبابة هى الأسطوانة الثانية من جهة القبر النبوى والرابعة من جهة المنبر الشريف ومن جهة الساحة

الرملية الثالثة وتبعد عن المضجع النبوى عشرين ذراعًا، وتقع أسطوانة أبى لبابه بين أسطوانة عائشة والأسطوانة الملاصقة لشبكة الحجرة المعطرة وفى وقتنا هذا فهى الأسطوانة الرابعة من جهة المنبر المنير النبوى ومن جهة قبر النبى الجليل الثانية ومن الجهة القبلية الثالثة ومن جهة الساحة الرملية الأسطوانة الخامسة.

يروون وجود محراب بجانب عمود التوبة كعلامة مميزة له قبل الحريق إلا أن ذلك المحراب قد احترق فى الحريق الثانى ولم يصنع بعد ذلك، وإن كان قد ذهب بدر بن فرحون من علامة المؤرخين إلى أن المحراب وهو العلامة المميزة لأسطوانة التوبة كان ملاصقًا لشبكة حجرة السعادة إلا أن مؤرخى الأسلاف جرحوا رأى ابن فرحون وقالوا إن المحراب المذكور كان بجانب أسطوانة أبى لبابة، وأتوا بدلائل مقنعة تحمل على تصديق أقوالهم ومن هنا فقول ابن فرحون موضع شك وشبهة.

قد حُكَّت على هذه الأسطوانة بخط جلى نفيس عبارة «هذه أسطوانة أبى لبابة وتعرف بالتوبة» بذهب خالص العيار ونقشت بذهب.

٤ـ أسطوانة السرير:

وبما أنَّ سرير سيد البشر المصنوع من خشب النخلة بناء على قول الأكثرية كان بجانب الأسطوانة الرابعة ذات إعجاز ظل اسم هذه الأسطوانة أسطوانة السرير وكتب عليها بخط جلى نفيس عبارة «هذه أسطوانة السرير» حُلِّيَتْ بذهب والعمود المذكور بين القبر الشريف وقناديل الروضة المنيفة وبناء على تعريف الإمام السمهودى فهى الأسطوانة التى فى الجهة الشرقية من أسطوانة التوبة والملاصقة للشبكة السعيدة.

ظل السرير النبوى قبل توسيع المسجد الشريف فى صورة دائمة بجانب أسطوانة التوبة وبعد أن تفضل معمار بنيان الدين ـ عليه سلام الله المعين ـ بتوسيع الجهة

الشرقية من المسجد الشريف نقل السرير بجانب أسطوانة السرير، والأسطوانات الثلاث التى عرفت قبل هذه الأسطوانة قد ركزت من جهة المنبر الشريف إلى جهة قبر السعادة فى صف واحد؛ وليست هناك أسطوانة ملاصقة بالشبكة الشريفة بين هذه الأسطوانات إلا هذه الأسطوانة النصفية أى الأسطوانة التى نحن بصدد تعريفها وهى أسطوانة السرير، وإن هذه الأسطوانة النصفية من المحقق أنها ركزت عندما أسس الأشرف قايتباى المصرى القبة الجسيمة فوق حجرة السعادة وبما أنها كانت تجاور حجرة السعادة كتبت عليها عبارة هذه أسطوانة السرير.

٥ـ **أسطوانة المحرس**: إن هذه الأسطوانة فى الجهة الشمالية من أسطوانة التوبة فالذين يذهبون من دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ إلى الروضة المطهرة تقابلهم هذه الأسطوانة. وكان سادات المدينة يجتمعون فى الأوائل لأداء صلواتهم بجانب هذه الأسطوانة.

ولما كان على بن أبى طالب يداوم على أداء الصلاة بجانبها وكان يقوم الليالى على حفظ النبى ﷺ من مكائد الأعداء بجانبها عرفت هذه الأسطوانة باسطوانة على بن أبى طالب كما نقش عليها بماء الذهب عبارة «هذه أسطوانة الحرس»، وذُهِّبَتْ.

٦ـ **أسطوانة الوفود**:[1] هذه الأسطوانة خلف أسطوانة المحرس من جهة الشمال أى أنها أمام المكان الذى أضيف إلى المسجد الشريف لتوسيعه، وفى اتصال الشبكة التى بين مربع القبر الجليل والحجرة المعطرة، وكان النبى ﷺ يستقبل وفود العرب أى السفراء الذين بعثتهم القبائل العربية بجانب هذه الأسطوانة وقد أدى اجتماع أفاضل الصحابة الكرام بجانب هذه الأسطوانة إلى اشتهارها بمجلس القلادة كانت أسطوانة الوفود قد نُقِش عليها عبارة بخط جلى لا مثيل له «هذه أسطوانة الوفود» وأطلق على باب الشبكة الذى بين أسطوانة المحرس وهذه الأسطوانة باب الوفود.

(١) أحد أسماء أسطوانة الوفود مجلس القلادة.

إخطار

مؤلف تاريخ «نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين» وهو آخر مؤرخى المدينة ومسقط رأسه مهجر النبى ـ عليه السلام ـ يقول مخطئًا المؤرخين القدماء فى الأساطين المأثورة، إن الذين عينوا الأساطين التى كتبت عليها أسماؤها مثل الوفود والمحرس يعنى الذين كتبوا على الأسطوانات هذه الأسطوانات أسطوانات الوفود والمحرس بما أنهم كلفوا كتابتها دون أن يطالعوا كتب ابن زبالة، ابن النجار، والمطرى والسمهودى من المؤرخين القدامى كذلك كتب المؤرخين الذين أتوا قرب الألف من الهجرة النبوية، لذلك ارتكبوا خطأ كبيراً، وهاتان الأسطوانتان اللتان كتبا عليهما أسماءهما ليستا الوفود والمحرس المأثورتين إننى قمت بمطالعة عريضة وعميقة بقراءة كتب المتقدمين ورسائل المتأخرين، وطالعت تاريخى المطرى والإمام السمهودى وكتاب الجوهر المنظم للعلامة ابن حجر وشرح ابن علاء على إيضاح النووى «والدرة المضيئة» للعلامة على القارى «والذخر النافع» للعلامة محمد بن سليمان الكردى المدنى وأمررت نظرى على الآثار النفيسة للأشخاص الآخرين على حدة، وكل هذه الكتب من الآثار النادرة التى ألفها العلماء الأعلام من الحنفية والشافعية والمالكية، وكلها يصدق فكرى، وإن كان العلامة القليوبى يدعى صحة الأسماء التى كتبت على الأسطوانتين الوفود والمحرس إلا أنه أخطأ فى مذهبه هذا؛ إذ زار هذا الشخص المدينة المنورة ورأى الكتابة فوق هاتين الأسطوانتين وظن أنها كتبت بعد التحقيق فمن هنا أدرج فى كتابه ونقله بعينه، مع أن هذه الكتابات كتبت بناء على الأمر الصادر من السلطان سليم مع قصيدته التى نظمها بالذات على الأسطوانات عندما أمر بتعمير أسطوانات مسجد السعادة فى خلال سنة ألف وزار ابن حجر المكى المدينة ذاتيًا فى سنة ٩٥٦ هـ وألف كتابه نادر الذكر «الجوهر المنظم» ووجد الأسطوانتين المذكورتين بعد تدقيقات كثيرة وأدرجهما فى كتابه بعد ذلك، لأنه بالذات ولا العلماء الذين أتوا قبله لم يقتنعوا بصحة العبارات التى كانت مكتوبة عليها وبما أن العلامة ابن سليمان قد كتب أثره الذخر النافع فى المدينة سنة ١١٥٨ هـ، وكتب

عن الأسطوانتين السابقتين ما يؤكد تحقيقنا، وقد بين ابن سليمان فى كتابه المذكور ما كتب على هاتين الأسطوانتين ولم يعرف جهتهما، إذ قال: «إن أسطوانة المحرس التى خلف أسطوانة التوبة من الجهة الشمالية كتب عليها هذه أسطوانة على ـ رضى الله عنه ـ كما كتب على أسطوانة الوفود التى تقع خلف هذه الأسطوانة: «هذه أسطوانة الوفود» ويفهم من تعريف ابن سليمان أنه قد تبدلت مواقع الأسطوانتين وغيرت كتاباتها خطأ، إذ كتبت على الأسطوانة التى خلف أسطوانة السرير من الجهة الشمالية عبارة «هذه أسطوانة الحرس» والأسطوانة التى خلف هذه الأسطوانة من الجهة الشمالية كتبت عبارة «هذه أسطوانة الوفود» إن خطأ نقل هذه المكاتبات إلى الأسطوانتين سالفتى الذكر حدث من ذهاب ابن فرحون إلى أن الأسطوانة الملاصقة بالشبكة أسطوانة التوبة، لأن الذين كلفوا بكتابة هذه الكتابات ظنوا أن أسطوانتى الوفود والحرس خلف أسطوانة التوبة من الجهة الشمالية فكلفوا بكتابة العبارات السابقة فوق الأسطوانتين الملاصقتين خلف الشبكة وهذا يؤيد رأى ابن فرحون ويصدقه، مع أن الأسطوانة الملاصقة بالشبكة أسطوانة السرير، وإننى قد راجعت الباشا شيخ الحرمين لنقل هذه الكتابات إلى الأسطوانتين اللتين خلف أسطوانة التوبة بعد أن استشرت أفاضل علماء أهل المدينة وذلك فى سنة ١٢٨٧ هـ.

وقد استصوب فكرى سواء أكان أمين باشا أو قاضى المدينة محمد توفيق أفندى ولم يعيرا آذانًا صاغية لوشايات الفرقة المخالفة، ولكن بما أن أمين باشا قد انفصل عن المشيخة لم يتيسر تحقيق المرام.

٧ـ **أسطوانة مربعة القبر**: إن أسطوانة مربعة القبر الجليل فى مكان يطلق عليه مقام جبريل أى فى اتصال الانحراف الغربى الشمالى وهو عمود موزون.

وبما أنه بين أسطوانة الوفود وأسطوانة مربعة القبر الشريف وفى اتصال شبكة الحجرة المعطرة أسطوانة أخرى، فأسطوانة الوفود، الأسطوانة الأولى وأسطوانة مربعة القبر الثالثة والأسطوانة الموجودة بين الاثنين الأسطوانة الثانية بالنسبة

للأسطوانتين وبما أن باب دار سعادة السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كان بجانب أسطوانة مربعة القبر الجليل كان النبى ﷺ يفتح باب الدار المشار إليها كل صباح ويورد بالآية الجليلة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. (الأحزاب: ٣٣). وعلى قول يقول ملاطفًا كريمته المحترمة الصلاة الصلاة ويلمح أن الوقت قد حان لإيقاظ الحسنين لأداء الصلاة.

قال العلامة ابن سليمان يجب ألا ينسى أداء الصلاة فى هذا المكان؛ لأن باب دار السيدة فاطمة كان هنا، هذا ما قاله لى مسلم.

وبما أن أسطوانة مربعة القبر الجليل والأسطوانة غير المسماة سالفة الذكر قد أدخلتا داخل الحجرة المعطرة لا يستطيع الزوار الكرام أن يتنعموا بزيارة هاتين الأسطوانتين ومحراب فاطمة والأسطوانة التى تحمل هذا المحراب وبما أن ذلك المكان المذكور يحاذى قبر السعادة لا يستطيعون حتى أداء الصلاة فيه.

وكان علماء الأسلاف قد اعترضوا على عمل الشبكة التى تحيط بحجرة السعادة كما اعترضوا على غلق الأبواب التى تفتح لهذه الشبكة وسدها حين صنعها ولكن اعتراضهم لم يفد شيئًا.

٨ـ أسطوانة التهجد: بما أن إمام المجتهدين ـ عليه السلام ـ قد اعتاد أداء صلاة التهجد بجانب هذه الأسطوانة اشتهرت بأسطوانة التهجد.

كان سيد الأبرار بعد أداء صلاة العشاء وانصراف الأصحاب الكرام إلى منازلهم يفرش بجانب أسطوانة التهجد قطعة من الحصير ويداوم على أداء صلاة الليل، وكان ينصب فى هذا المكان خيمة من الحصير ويعتكف فيه فى الأيام العشرة الأخيرة من رمضان، وقد أطلع على هذا الأمر المدققون من الأصحاب فأخذوا يؤدون صلاة الليل مقتدين بالنبى والذين رأوهم فعلوا مثلهم فزاد عدد المصلين صلاة الليل مع مرور الأيام ورفع سيد الواقفين على أسرار الحكمة ﷺ حصيرته فى ليلة من الليالى ودخل إلى حجرته، وقال لأصحابه الكرام الذين

استقصوا على الأمر متأسفين: «خفت من أن تفرض عليكم صلاة الليل! لأنكم غير قادرين على أداء صلاة الليل». وهكذا بين لهم ما فى ضميره.

تقع أسطوانة التهجد خلف الجهة الشمالية من المنزل الخاص بالسيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وبنى فى المحل المذكور مؤخرًا محرابُ أشار إلى المكان الذى كان يتهجد فيه النبى ﷺ والذين يستقبلون ذلك المحراب يكونوا قد جعلوا باب جبريل على شمالهم وباب الرحمة على يمينهم.

يخبرنا المؤرخون مؤكدين على صحة إقامة محراب فى المكان الذى كان يتهجد فيه النبى ﷺ وأنه قد أطلق على هذا المحراب محراب التهجد، فالذين يقفون فى محل المحراب المنير المذكور متجهين إلى جهة الشرق يلزم أن يظل باب جبريل على الجهة اليسرى منهم، إلا أن ذلك المقام ذا الفيوضات ظل فى داخل شبكة السعادة وقد كتبت عبارة: «هذا مُتَهَجَّد النبى ﷺ» فوق الرخام الذى وضع فوق طاق محراب التهجد الذى يرى خلف المحراب من خارج الشبكة وقد حدد هذا المحراب فى عهد الإمام السمهودى ووضع فوق قطعة الرخام سالفة الذكر رخام آخر وكتب عليه برز الأمر بتجديد أعمدة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى أعز الله أنظاره وتم ذلك على يد ابن الخواجة الشمس بن زمن وكتب فوق هذه العبارة تاريخ تعميره، إلا أن حريق سنة ٨٨٦ هـ قد محا الخطوط المنقوشة فوق الأعمدة وأزالها وأبدلت أساطين حجرة السعادة القديمة، وأسس مكان محراب التهجد القديم محراب جديد.

والمحراب الجديد ملاصق لمقبرة السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ من ناحية قدميها وترتفع مقدار ذراعين والمحل المعد للصلاة منخفض قليلاً وأعلاه عمودى وشكله مربع.

٩ـ محراب باب الجنائز: يقع هذا المحراب على يسار من يتجهوا إلى الجهة القبلية وبما أنه فى داخل شبكة السعادة فمن المتعسر زيارته، وبما أن المحراب الشريف مستور وتلك الجهات من شبكة السعادة مظلمة فسيضطر خدام المسجد أن

يفتحوا باب حجرة السعادة عندما يصنعون فتائل وزيوت قناديل المسجد، فالذين يريدون أن يسعدوا بزيارة المحراب الشريف ينتظرون فتح باب الحجرة اللطيفة كما سبق ذكره، لعلهم يوفقون فى زيارته، وإلا فزيارته فى الأوقات العادية غير محتمله، إلا إذا وجدوا طريقًا آخر بإعطاء جوائز وفيرة أو بإيجاد واسطة ما، وفى جانب هذا المحراب المقدس وفى خارج شبكة السعادة محراب صغير أيضًا وما سبق ذكره عاليه بمحراب التهجد إنه ذلك المحراب الشريف وكتب على جناحه اليمين واليسار.

«أمر بعمارة هذا المتهجد الشريف العبد الفقير المعروف بالتقصير السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله سنة ٨٨٨» كما كتب فوق طاقة المعلا بخط جلى «بسم الله الرحمن الرحيم» وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال الله تعالى: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾**. (الإسراء: ٧٩).

كتبت تلك الآية مذهبة كما علقت فوق هذا الخط اللوحة المزينة التى كتبت بخط يد السلطان محمود خان العدلى ابن السلطان عبد الحميد خان المرحوم «حسبنا الله ونعم الوكيل».

إن المحراب الشريف الذى عرف على قدر الإمكان هو المحراب الذى يزوره الزوار متبركين على أنه محراب التهجد، وإن هذا الأثر الذى أثبت المؤرخون بالأدلة القطعية أنه أثر مقدس هو الأسطوانة النفيسة والمسعودة التى ظلت فى داخل الشبكة وقد جددت فى عصر السلطان عبد المجيد وكتب فوقها آية التهجد، ومع هذا ففضل كل مكان وموقع وشرفه غير قابل للاعتراض عليه، فأى مكان من المسجد لو شرف بالزيارة فمن المأمول الحصول على أجر عظيم ومكافأة روحية كبيرة.

إن الأعمدة التى كانت فى عصر السعادة تلك الأعمدة الثمانية التى ذكرناها وقد بلغ عددها فيما بعد إلى ثلاثمائة عمود وسبعة أعمدة، وكلما وجد مسوغ

شرعى لتوسعة المسجد الشريف زاد عدد أساطينه، ولكن بما أن المهاجرين والأنصار من الصحابة العظام قد تقيدوا ووصلوا حول هذه الأعمدة الثمانية فعلى الذين يريدون أن يزوروا حجرة السعادة أن يقفوا وأن يصلوا بجانب كل واحد من تلك الأعمدة الثمانية على حدة محرمين.

وفى الروضة المطهرة للنبى ﷺ ثلاثة صفوف من الأساطين التى لا تقدر بثمن على أن تدخل فيها بعض الأساطين المشروحة وفى كل صف أربعة أعمدة.

وقد كتبت فى عهد السلطان سليم خان الثالث فوق أربعة من هذه الأعمدة المباركة أربعة أبيات وعلى سبع منها بيتان وعلى واحد منها بيت واحد بديع التركيب وزينت بالتذهيب وهذه الأبيات فاضت بها قريحة السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى خان الثالث وهى مما يدل على تقواه وورعه وشعار تدينه ـ عليهم الرحمة والغفران.

الأبيات التى سطرت على الأساطين الأربع من الصف الأول:

الأسطوانة الأولى[1]

السلام عليك يا مهبط الوحى الأمين

يا من يعشقك بروحه الروح الأمين

إنما الأرض على السماء فخرت

لأنها جسمك الطهور حوت

عماد شوكتك طاق الفلك

لذا أصبح الركن الركين بك

لتكن لسليم خان نعم المعين

إنه وطد الأساس للملك والدين

(١) هذه الأسطوانة الأولى بدءًا من منبر السعادة.

الأسطوانة الثانية[1]

يـا مليـك الـكرم أيهـا السـلطان الـكريم
بعبـوديتـك يفخـــر الســـلطان ســـليم
كأنمـــا يتمســـك بقائمـــة عرشـــك
وهـــو يعظـــم أركـــان شـرعـــك
أنـــا عبـــد لـــك جـــد بالإحسـان عـــلى
وليـكن فـــى الدنيـــا والآخـــرة لـــدى
على روضتك المطهرة صلوات وصلوات
وعـلى كـل صـلاة تسـليمات وتسليمات

الأسطوانة الثالثة[2]

يـــا زهـــرة روضـــة ديـــن الإســـلام
عليـــك فـــى كـــل لحظـة سـلام وسـلام
كيـــف لا يـــكون مـــن الياقـــوت جسـد
ولقصـــرك مـــن الرخـــام عمـــد
طوبـــى للســـلطان ســـليم الأجـــل
الـــذى أنجـــز هـــذا العمـــل الأمثـــل
أكرمـــه يـــا مـــن أنـــت سـيد الـكرام
فاللطـــف بالعبيـــد مـــن الـــكرام يـــرام

الأسطوانة الرابعة[3]

رفيـــع الروضـــة فخـــر الرســـالات
تحـــت عرشـــه روضـــة الجنـــات

(١) وهذه أيضًا الثانية بدءا من منبر السعادة.
(٢) هذه الأسطوانة هى الثالثة من ناحية المنبر.
(٣) هذه الأسطوانة هى الرابعة من ناحية المنبر.

أيـــا إنســـان إلـــى عمـــودك نظـــر

أمـــن مـــن كـــل ضـــجر وكـــدر

سـليم خـان ابن مصـطفى خـــان المؤيـد

يـــا حَـــبَّذا مـــا قـــدم مـــن يـــد

هبـــه يـــا رسـول الله بركتـــك فـى دنيـــاه

وأنلـــــه ســـعادتك فـــى أخـــراه

إن الأساطين الآتية الذكر أمام محراب النبى وإنها مرتبة فى صف واحد من منبر السعادة إلى شبكة الحجرة المعطرة.

الأسطوانة الخامسة(١)

أجـــرى أن يـكتـب النعـت القـــلم

واصـــفا بـــه رســـول الله الأعـــظم

حبـذا حبـيب الحـق منقـطع القريـن

كأنـه سـرة نـور فـى عـين الناظريـن

الأسطوانة السادسة(٢)

كانت ذاتـه الطاهـرة لخلق الكون السبب

بـين عـلو قـدره والعـرش الأعـلى نسب

حمـد الله الـذى جعـلنا مـن أمتـه قـدرًا

أنـى يـؤدى عـلى تـلك النعمـة شـكرًا

الأسطوانة السابعة(٣)

شـراء النـاس مـن أهـل الجـهل والـكفر

إن آمنـوا عرفـوا يـا لـه مـن قـــدر

(١) هذه الأسطوانة هى الخامسة من ناحية المنبر.

(٢) هذه الأسطوانة هى السادسة من ناحية المنبر.

(٣) هذه الأسطوانة هى السابعة من ناحية المنبر.

obeikandi.com

إثمـد بصرى مـا تحـت قدمـه مـن رغـام

غبـار طريقـه يبـدد يـوم الحـشر الظـلام

الأسطوانة الثامنة[1]

أنـت شـمس العالمـين يـا خيـر الرسل

شعار شمسك منه الدين والدنيا فى أبهى الحلل

أنـت لا تضـن عـلى عبدك بلطف ورحمة

يـا مـلك الـكون فاقـض لـه الحاجـات

وهذه الأساطين الأربع المباركة تقع أيضًا خلف الأسطوانات التى فى الصف الأول وتعد كذلك ابتداء من منبر السعادة.

الأسطوانة التاسعة[2]

ألهمت ذكـر ألـف صـفة مـن صـفاتـه

فنظمت نَعْتَـهُ الطاهـر أمـلا فـى شفاعتـه

كيـف أسـتطيع وصـفه بمـا بـه يليـق

الحـق مـن يصفه بمـا هـو بـه حقيق

الأسطوانة العاشرة[3]

يا معدن الكرم أطلقتنى من ظلمة الغم

أنا ملك ولكن لست من عبده من رحمة حرم

شمعة شوقى إليك لها فى القلب شعاع

وزاد بكرمك ما لها من حرقة واندلاع

(١) هذه الأسطوانة هى الثامنة من ناحية المنبر.

(٢) هذه الأسطوانة هى التاسعة من ناحية المنبر.

(٣) هذه الأسطوانة هى العاشرة من ناحية المنبر.

obeikandl.com

الأسطوانة الحادية عشرة[1]

فى الأفلاك التسعة كل إنس وجن وملك له عبد

ونجدته كان لكل مليك ما له من سؤدد ومجد

فليكن وردى دائمًا ذكرت صلاته

سيد الرسل إن بركته منحنى

الأسطوانة الثانية عشرة

على روحه الطاهرة ألف صلاة وسلام

تلهمنى الرجا فى نيل رخصة شفاعته

إن هذه الأساطين الأربعة هى الأساطين المباركة التى فى الصف الثالث وبما أن الأسطوانة الثانية عشرة ملتصقة بمقصورة المؤذنين يطلق عليها أسطوانة المكبرين أيضًا.

استطراد

فى زماننا هذا فى مسجد السعادة ٢٢٩ أسطوانة بما فيها الأساطين المباركة، خمس وعشرون منها فى داخل الروضة المطهرة وما حولها والبقية فى الجهات الأخرى من المسجد الشريف، ولكن أسس الركائز التى ظلت فى داخل الجدران لا تدخل فى هذا الحساب.

(١) هذه الأسطوانة هى الحادية عشرة من ناحية منبر السعادة.

obeikandl.com

فى ذكر وبيان المقام واجب الاحترام الذى يطلق عليه «الصُفَّة» وأين تقع هذه الصفة فى مسجد السعادة ومما تتكون ومن هم الأشخاص الذين يطلق عليهم «أصحاب الصُفَّة».

كانت الصفة الشريفة التى كانت محل إقامة أصحاب الصفة بناء على تحقيق المرحوم القاضى عياض وروايته فى نهاية مسجد المدينة السعيد الشمالى، وكان الصحابة الفقراء الذين يردوا إلى المدينة المنورة المهجر النبوى يسكنون فى الصفة الشريفة، وكانوا يعبدون الله ليلاً ونهارًا، لما كانت الصلاة تؤدى فى اتجاه البيت المقدس كان محراب المسجد الشريف مكان الصفة المسعودة، وبعد أن تحولت القبلة إلى مكة المعظمة أصبح ذلك المكان وقفًا لإقامة المهاجرين الغرباء، وبما أنه بعد تحويل القبلة لم يبق فى ذلك المكان محراب مخصوص فعقب تحويل القبلة صنع فى ذلك المكان مظلة لإقامة الأصحاب الغرباء واعتاد بناء على ذلك أن يقيم فى هذه المظلة من لا مأوى ولا سكن ولا عيال ولا أولاد لهم.

وكما أوضحنا فى الصورة الأولى من الوجهة السادسة عندما تكاثر المهاجرون الكرام الذين لا صلة لهم بأهالى المدينة رأى النبى ﷺ الذى يطيب خاطر أمته أنْ يؤوى هؤلاء الضعفاء فى هذا المكان المبارك ويحدثهم ويخفف عنهم كربهم ويرفع من معنوياتهم إلى أعلى مكانة، ولما زاد إحسان النبى ﷺ لمهاجرى دار ضيافة المدينة ولسكان الصفة المباركة ساعةً بعد ساعة حتى تمنى أهالى المدينة وأغنياء المهاجرين أن يكونوا من أصحاب الصفة، وأخذ فقراء المدينة يداومون على الإقامة مع أهل الصفة حتى يشاركوا أهل الصفة فيما يتناولونه من آيات الغفران، وهكذا عدوا من أصحاب الصفة وبناء على ذلك كان العبيد الذين يحررهم النبى ﷺ ويعتقهم والذين كانوا يفتخرون بخدمة النبى يصرون على ألا ينفصلوا عن قرب النبى لأجل ذلك يفضلون أن يصبحوا من أصحاب الصفة كما كان يعد

أقرباء سلطان الدين والسادات والأنصار والمهاجرون وأشخاص آخرون أن يجلسوا ويحادثوا أصحاب الصفة من أقصى آمالهم، وبهذا أدخلوا ضمن الجماعة السعيدة من أصحاب الصفة وعدوا منهم.

وكان فَقْرُ أصحاب الصفة وشدة حاجاتهم فى حالة تجل عن الوصف، وبناء على ما يرويه الصحابى أبو هريرة كان بينهم بعض الأشخاص الذين كادوا أن يكونوا عراة من شدة حاجتهم وإنهم استطاعوا أن يتداركوا بعد آلاف المشقات والصعوبة قطعة من قماش لا تكاد تستر محال عوراتهم، ولم تكن قطعة القماش التى اتخذوها ملابس على طول واحد إذ كان بعضها أميل إلى الطول وكان بعضها قصير، وكانوا يسترون بها ما تحت خصورهم، وكان الذين لهم أقمشة قصيرة يغطون بها جسمهم من خصورها إلى ركبهم فقط ومن كان قطع أقمشتهم أطول كانوا يغطون إلى سيقانهم، وكان أداء الصلاة بهذه الحالة وفقًا للآداب الشرعية يكاد أن يكون مستحيلاً لأجل ذلك كانوا يدخلون قطع القماش ما بين سيقانهم بصعوبة كالإزار وبهذا ينقذون صلواتهم من الكراهة وبعد أداء الصلاة كانوا يلفون بهذه الأقمشة خصورهم.

وكانت أقوات أصحاب الصفة اليومية من الأشياء الرخيصة مثل البلح، إلا أنهم عندما تقوم الحروب كانوا يشاركون فيها غالبًا وكانوا يقاتلون فى منتهى الشجاعة.

قال أحد فضلاء الأصحاب وهو فضالة بن عبد الله: كنت أصلى يومًا فى زاوية من الزوايا الشمالية من المسجد، وفجأة قام أصحاب الصفة على أرجلهم ووقفوا وقفة الاحترام والتعظيم وفى سكوت تام، إذ كان سلطان عرش الدين ـ عليه صلوات الله المعين قد شرف المكان، وقال فريد العالم ﷺ فى أثناء تقربه من صفوف أهل الصفة، «لو وقفتم على مدى حب الله لكم لتمنيتم أن تزدادوا فقرا وحاجة».

وكان أصحاب الصفة فى غاية الفقر وكانوا فى حاجة إلى نصف لقمة من الخبز ومن هنا كان معدن السخاء ـ عليه وعلى آله أصفى التحايا ـ يطعمهم صباحًا

ومساءً وكان الأصحاب الأغنياء يمتثلون لأوامر النبى ﷺ التى يطيعها العالم كله ويصحبون معهم اثنين أو ثلاثة من هؤلاء إلى منازلهم لإطعامهم كل على قدر ثروته.

وإن كان ما يرويه حضرة فضالة كافيًا لإيضاح مدى فقر أصحاب الصفة وشدة جوعهم وشدة تحملهم للحاجة والفقر إلا أن أبا هريرة بما أنه كان معينًا للاطلاع على أحوالهم وشئونهم من قبل الرسول ﷺ؛ لذا فهو يعرف أحوالهم أكثر من الأصحاب الآخرين.

يتفضل حضرة أبو هريرة قائلاً: «رأيت أن بين رفقائى سبعين نفرًا كانوا عراة تمام العرى إذ لم يكن معهم إزار أو رداء وإن كان بعضهم قد وجد قطعة من القماش وستروا أماكن عوراتهم إلا أن أكثرهم لم يستطيعوا العثور على قطعة قماش قديمة فغطوا أمامهم بأيديهم وستروا عوراتهم بهذا الشكل.

أقسم بالله الذى لا إله غيره ـ تعالى شأنه عما يقولون ـ إننى لم أستطع أن أتحمل يومًا الجوع وأسندت بطنى على الأرض متصورًا أنه يساعدنى على الصبر والتحمل ومع مرور الزمن اشتد جوعى وزاد اضطراب جسمى فالتقطت من الأرض حجرًا وشددت به بطنى، كان غرضى أن أجد حلاً للجوع وقد وصلت حالتى لدرجة أنى يئست من الحياة، وخرجت إلى الطريق لعلى أجد أحدًا من أهل المروءة يمر من الطريق، وبعد وقت قصير ظهر الصديق الأكبر وبعده ظهر الواقف على أسرار البشر، ونظر إلى بابتسامة تبعث الحياة وأجال نظره ثم قال: «تَعَالَ يا أبا هريرة» فمشيت خلفه ودخلت بيته بعد الاستئذان ووجد قدحًا من اللبن وسأل عن الذى أتى بهذا اللبن فقيل له إن أحد خدم الحرم أهداه وقدمه، ثم توجه إلى بالحديث قائلاً: «إن هذا اللبن من حق أصحاب الصفة! اذهب وائْتِ بجميع إخوانك إلى هنا، إنكم ضيوف المسلمين الأعزاء والمحترمين؛ إنكم لا تملكون أهلاً ولا عيالاً ولا أموالاً وليس لكم مأوى ولا مسكن!» وكان جوعى قد تجاوز حده ورأيت اللبن فى القدح قليلاً ومن هنا قلت يا رسول الله كيف يشبع قدح من اللبن هؤلاء! إنهم سبعون رجلاً بالتمام والكمال وأردت بهذا أن

أشير إلى عدم كفاية اللبن، إلا أننى قد أخذت منه الجواب المعجز إذ قال: «ما عليك إلا أن تأتى بهم فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ينعم بالبركة للبن» فذهبت إلى أصحاب الصفة وسحبتهم خلفى حتى عفرت وجهى بتراب أرجل الرسول ﷺ وشربنا من ذلك اللبن حتى شبعت بطوننا وقدح اللبن ينتقل من يد إلى يد ولم تنقص قطرة من لبن القدح، إلا أننا لم نستطع أن نشرب أكثر مما شربنا وقد شبعنا إلى درجة أنه بعد أن شربنا بحرص الجائع أصبحنا نتنفس بصعوبة.

يفهم من تعريف أبى هريرة هذا أن فقر أصحاب الصفة وشدة حاجتهم لم يكونا ينقصان من قدرهم لدى النبى ﷺ بل كان يزيد قدرهم عنده كلما زاد فقرهم وحاجتهم وكلما كان حامى دين الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشرف مسجد السعادة كان يلاطف المشار إليهم ويطيب خاطرهم بالحديث إليهم وعقب الصلوات كان يستدعى كل واحد منهم على حدة إلى مجلسه مجلس الملائكة ويستفسر عن أحوالهم.

فى الوقت الذى أخذت القبائل ترسل سفراءها لغرض قبول الإسلام، وعندما كثر القرشيون فى المدينة دار السكينة متحيرين بين قبول الإسلام ورده، حسد أشراف قريش ما يظهره النبى ﷺ نحو أهل الصفة من آيات المودة وأخذوا يتقولون فى طرد المشار إليهم من المجلس النبوى وإبعادهم منه، حتى إن الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى والآخرين نالوا شرف حضور المجلس النبوى ورأوا أن ثلاثين من أصحاب بدر الفقراء يحيطون بالنبى ﷺ كهالة القمر فأخذتهم العزة والغرور بالإثم وخرجوا عن شعورهم ووعيهم وقالوا: «يا رسول الله أبعد عن مجلسك العالى ابن مسعود، وبلال الحبشى ومقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وصهيب بن سنان الربيعى وأمثالهم من الغرباء! إننا من العظماء الذين يرعى جانبهم بين الأقوام القرشية فيجب رعاية جانبنا، نحن نتحادث مع ذاتك الكريمة ونستفسر عن الإسلام ونستمع إلى الأحاديث والقرآن، إن الوفود العربية تأتى وتذهب بكثرة ويروننا بين أسافل الناس، وإن هذه الحالة تجلب لنا العار!! إننا ذوو قدر وتوقير بين الناس، فإذا ما

خصص لنا مكان عال يصدق سفراء أقوام العرب فضلنا ورحمائنا على الفقراء!» وتباهوا وتفاخروا بمثل هذه الكلمات.

وقال سيدنا سرور الأنام ـ عليه الصلاة والسلام ـ «إننى لا أستطيع أن أطرد المؤمنين من مجلسى» مجيبًا، إلا أنهم قالوا إن مجالسة الفقراء تجلب لنا العار والحقارة والخجل، على الأقل فكلما نأتى إلى مجلسك فلينصرف هؤلاء الفقراء من مجلسك متعللين بأى سبب كان إذا ما روعى هذا النظام فنحن نعرض انقيادنا وطاعتنا لك وأرادوا بهذا النهج أن يحصلوا على رضا النبى ﷺ وأن يعطى لهم عهدًا بذلك وإذ رجوا ذلك أحضر معدن الحلم والكرم ﷺ سيدنا على حيدر الكرار ليكتب لهم عهدًا وفق مطالب المذكورين، ولكن عقب ذلك أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الآية التى تقول ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾. (الأنعام: ٥٢). فصرف النبى ﷺ النظر عن كتابة العهد وأحضر أصحاب الصفة ـ رضى الله عنهم ـ وقرأ عليهم الآية التى نزلت فى حقهم.

استطراد

كان فى ذلك الوقت بين القبائل العربية وخاصة بين شعبتى بنى أمية بَنِى مخزوم كثير من الحمقى انتعلوا الغطرسة والتكبر والتعظم وهم من الطائفة العرشية.

وقد وصل الغرور ببعضهم حد أنهم لم يجدوا فى هذه الدنيا الواسعة رجلاً يستحق مصاحبتهم وقالوا: «لا يدانينا إلا فرقدا[1] السماء».

وإنهم لم يدركوا أن الكبر يجلب غضب الحق ويستوجب نفرة الخلق وأنه عندما ينفر الناس من أحد لن يستطيع أن يعيش حياة طبيعية سليمة وبناء على القول الذى يقول فى حق المتكبر: «الكبر على أهل الكبر صدقة» فكل الناس سينظرون إليه بالحقارة ومن هنا لن تستقيم حياته.

(١) الفرقدان: نجمان ظاهران فى مكان ثابت تقريبًا يهتدى بهما ليلاً. أحدهما النجم القطبى، وآخر بجانبه.

أنعم أشرف الأنبياء سيدنا محمد على وائل بن حجر واقتطع له قطعة من الأرض وكلف حضرة معاوية بكتابة وثيقة بملكيتها وأن يرى حدود هذا الموقع؛ وبعد أن أخذ وائل قطعة الورقة التى سطرت عليها ملكيته للأرض ركب جمله وخرج مع حضرة معاوية إلى الطريق.

وقطعا مسافة لا بأس بها، وكان معاوية ماشيًا على قدميه لأنه لا يمتلك جملاً ولما اشتدت حرارة الشمس مع مرور الوقت وأصبح المشى فوق التحمل استأذن معاوية من وائل أن يكون رديفه فى ركوب الجمل كما جرت العادة بين العرب، وكان هذا الرجاء قد جرح عظمة وائل وكبره إذ قال له يا معاوية إنك لست جديرًا بأن تكون رديفًا لواحد من أعاظم العرب وأشرافهم وعندئذ قال له معاوية إذا كان كذلك فأعرنى نعليك فإنهما أكثر متانة من نعلى حتى لا تؤذى قدماى فقال له وائل: «يا ابن أبى سفيان، إننى لست رجلاً بخيلاً؛ ولكن الملوك الذين فى حوالينا إذا ما سمعوا الخبر سيؤذى كبريائى، كفى لك شرفا بأن تسير فى ظل جملى»، وبهذا بين له أنه لن يتنازل حتى عن نعليه، وبعد مدة استولى على عظمة وائل وأرضه جيوش الفقر وتبدلت أحواله بينما أصبح معاوية بن أبى سفيان واليا على معظم سواد الشام، وسافر ابن حجر إلى الشام ليشتكى تقلبات الزمان الظالمة وتلاقى بمعاوية مضطرًا، فاستقبله معاوية باحترام عظيم وأجلسه على سريره الخاص وسره بأن أجزل له العطاء ولم يتذكر الواقعة السابقة بل أخجل ابن حجر وأومأ له بأن الذين يتخلقون بالأخلاق المحمدية يتصفون بهذه المزايا العظيمة.

إذا ما وازنا مقابلة معاوية الجميلة لابن حجر فى ضمائرنا نحكم أن أخلاق أشراف القبائل العربية قد تبدلت فى عصر السعادة تبدلاً جذريًا.

قد فهم متكبرو الطوائف العربية أن الكبر والعظمة من الصِّفَات التى توجب غضب رب العزة وأنهم لاشك قد أصلحوا من أخلاقهم فى عصر النبى ﷺ إلا أن المرويات الآتية تثبت أنه كلما ابتعد عصر السعادة حدثت تحويلات كبيرة فى حال متكبرى العرب وشأنهم.

مثال ـ عندما قيل فى عصر الخلفاء العباسيين لأحد المتكبرين من بنى عبد الدار لماذا لا تسافر إلى الخليفة وتعمل على كسب حسن توجهه نحو قبيلتنا؟ فأجاب أخاف ألا يتحمل الجسر الذى سأعبر عليه أو الجمل الذى سأركبه ثقل شرفى ومزيتى وكأنه أراد أن يرمى إلى أن الخليفة إذا ما قصر فى حسن قبولى ورعايتى سيؤذى كبرى.

وكان الحجاج بن أرطأة من متكبرى العرب القدماء يتجنب الصلاة مع الجماعة، ويقول للذين يسألونه عن عدم إتيانه إلى المسجد لأداء الصلاة مع الجماعة إننى أخجل أن يقف على جانبى رجال بسطاء لأداء الصلاة.

وكان كبر ابن ثوابه يفوق جميع تكبر جميع متكبرى العرب وكان تعاظمه ونخوته أشنع وأقبح بدرجات عن غرور الحجاج بن أرطأة وهذا الأحمق الذى كان من عظماء العرب إذا ما أضطر لمكالمة أحد الزراع كان يغسل فاه بعد المكالمة.

لمؤلفه الفقير:

إذا مـا عـرف المتـكبر مضـرة كبـــره

بقبضـة النـدامـة يضـــرب صـــــدره

«انتهى»

فهؤلاء وأمثالهم من المتكبرين من رجال قبائل العرب والمتعاظمين كانوا يعدون وجود جماعات أصحاب الصفة فى مجلس السعادة حقارة لهم وإقلالاً من شأنهم؛ لذا سعوا معهم بطردهم منه؛ وكانت لهم وسائلهم وحيلهم الشيطانية وفى النهاية أطلعوا النبى ﷺ على ما فى ضمائرهم وطلبوا كتابة عهد بذلك؛ ولكن هذه الجماعة العظيمة كانت قد انصرفت سواء أكانت عن الدنيا أو عن مكاسبها كلية ولازموا مسجد السعادة وادموا فى عبادة رب العزة ومن هنا لم يستطع هؤلاء المتكبرون ترويج أفكارهم المسمومة، وقد صدقت الآية الجليلة (ولا تطرد الذين...) (الأنعام: ٥٢) صدقهم وصفاء قلوبهم، ويعد بعض الناس عدد أهل الصفة أربعمائة نفر ويوصلهم البعض إلى ستمائة نفر، وبناء على تدقيق أبى نعيم الأصفهانى فى مؤلفه «حلية الأولياء» بغض النظر عما ورد فى أسماء

أصحاب الصفة من الاختلافات أن بعض أصحاب الصفة قد تأهلوا وتركوا الإقامة فى الصفة الشريفة كما أن بعضهم خرجوا للسياحة ولم يقيموا فيها فى صورة دائمة ومن هنا لا يمكن تعيين عددهم بالضبط: ولكن سواء أكان المتزوجون فيهم أو مَنْ خرجوا للسياحة كانوا يعدون موجودين فى الصفة ويتساوون حسب المزية فى درجة واحدة، وكان بينهم من لهم نفوذ ومن يراعى جانبهم وكان أبو هريرة، كما أشير أعلاه، يعد رئيسهم ونقيبهم. حتى إن أبا هريرة كان يتولى تفقد أحوالهم والاستفسار عن شأنهم بموجب الأمر النبوى ويعرض أحوالهم إلى السدة النبوية وكان يعمل وفق الأوامر التى تصدر من النبى ﷺ.

أصحاب الصفة الذين أورد أبو نعيم أسماءهم الجميلة ومناقبهم الجليلة من بين هؤلاء:

أوس بن أوس الثقفى، أسماء ابن حارثة الأسلمى، أبو عبد الله ثوبان بن بجدد، أبو سعد ثابت بن وديعة الأوسى، أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى، أبو عبد الرحمن جرهد الأسلمى، أبو سريحه حذيفة بن أسيد الغفارى، أبو عبد الله حارثه بن النعمان الأنصارى، أبو عبد الله سلمان الفارسى، أبو عبد الرحمن سفينة، أبو كبشه سليم الفارس، أبو هريرة عبد الرحمن الدوسى، أبو رزين أبو فراس الأسلمى، ابن الخصاصية، بشير بن يزيد، أبو عبيده عامر بن عبد الله الجراح، أبو مويهبة، أبو ريحانة شمعون الأزدى، وبرة، نضلة بن عبيد الأسلمى، أبو عسيب أحمر، أبو عيسى بن مريم بن سالم، أبو اليقظان عمار بن ياسر، بلال بن رباح الحبشى، ثابت بن الضحاك الأشهلى، جرهم أبو ثعلبه الحسينى، جعيل بن شرأفة الضميرى الغفارى، جارية بن حُميل الأشجعى، حبيب بن زيد الأنصارى، حازم بن حرملة الأسلمى، حنظلة بن أبى عامر، حجاج بن عمرو المازنى، حكم بن عمرو الثمالى[1]، حرملة بن إياس، خُبَيْبُ بن إِسَافِ الخزرجى، الحسين بن على بن أبى طالب، حجاج بن عمرو الأسلمى،

(١) انظر الإصابة ٢/ ٨٠ ترجمة رقم ٢٠٩٩، وقبلها ٢/ ٣٠ ترجمة رقم ١٧٨٢.

خباب بن الأرت التَّميْميّ، خنيس بن حذافة السهمى، خالد بن زيد الخزرجى، خريم بن أوس الطائى، دكين بن سعيد الخثعمى، رفاعة بن عبد المنذر الأوسى، زيد بن الخطاب العدوى، سعد بن مالك أبو وقاص الزهرى، سعيد بن عامر الجُمَحّى، سعد بن مالك الخزرجى، سالم بن عبيد، سالم بن عمرو الأنصارى، سائب بن خلاد، سالم مولى أبى حذيفة، شداد بن أسيد السلمى، صالح شقران الحبشى، صفوان بن دهب الفهرى، صهيب بن سنان الرومى، طخفة بن قيس الغفارى؛ طلحة بن عمرو البصرى، عبد الله بن ذو البجادين المزنى، عبد الله بن حرام السلمى، عبد الله بن مسعود الهذلى، عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، عبد الله بن حرام السلمى، عبد الله بن زيد الجهنى، عبد الله بن أنيس الجهنى، عبد الله بن حارث الزيدى، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن قرط الأزدى الشمالى، عبد الرحمن بن جبير الحارثى، عتبة بن غزوان، عقبة بن عامر الجهنى، عباد بن خالد الغفارى، عمرو بن تغلب النمرى، عويم بن ساعدة الأوسى، عويمر بن عامر الخزرجى، عبيد بن سليم، عكاشة بن محصن الأسدى، عرباض بن سارية السلمى، عبد الله بن حبيش الخثعمى، عتبة بن عبد السلمى، عتبة بن النُّدَّر السلمى، عمرو بن عبسة السلمى، عبادة بن قرط الليثى، عياض بن حِمَارٍ المجاشعى، عبد الله بن طهفة الغفارى، عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، عبد الله بن منذر الجهنى، فضالة بن عبيد الأوسى العمرى، فرات بن حيان البكرى العجلى، كعب بن عمرو الخزرجى، كعب بن عمر السلمى، كناز بن حصين الغنوى، كنانة بن حصين العدوى أبو المدينة، مصعب بن عمير العبدرى، مقداد بن الأسود، مسطح بن أثاثه القرشى، مسعود بن ربيعة الهونى، معاذ بن الحارث النجارى، معاوية بن الحكم السلمى، مسعود بن ربيعة القارى وهو الهونى المتقدم، واثلة بن الأسقع الليثى، وابصة بن معبد الأسدى، هلال بن مولى المغيرة، هند بن حارثة بن هند، هبيب[1] بن يسار ـ رضى الله عنهم الستار.

(١) لم أجد فى الصحابة بهذا الأسم إلا هبيب بن مُغْفِل. انظر: الإصابة ٦/ ٢٨١ الترجمة ٨٩٣٥.

كيفية إعاشة أصحاب الصفة:

تعرضت أشجار النخيل فى أواخر عهد السعادة لنوع من الآفات وأشجار النخيل التى أصابها الآفة عندما أشرفت على إظهار ثمارها ذبلت أزهارها وبليت وسقطت على الأرض وأصابت الآفة خمسة وتسعين فى المائة من النخيل، وبهذا الشكل كان رأسمال الملاك وثروتهم قد ذهبا هباء ومُحيا تمامًا. وقام الزراع للقضاء على هذه الآفة بآلاف المحاولات حتى يجدوا حلاً سريعًا لهذه الآفة، وقاموا فى سبيل ذلك ببعض التضحيات إلا أن سعيهم وجهودهم ذهبت هباء، وإذا ما دامت هذه الحالة أصبح احتمال الحصول على المحاصيل من حدائق المدينة مستحيلاً، ومن هنا راجعوا طبيب الكائنات ـ عليه أسبغ التحيات ـ راجين أن يجد دواء لدائهم. فما كان من النبى ﷺ الواقف على أسرار الحكمة إلا أن اتخذ قرارًا بأن يأتى كل من أصابت الآفة نخيله بعنقود من البلح صدقة خالصة لأصحاب الصفة وبنية صحيحة، وامتثل للأمر النبوى معاذ بن جبل من سادات الأصحاب وكان أول من امتثل وأسرع بقطف عنقود من البلح الطازج وأتى به إلى مسجد السعادة وبما أن الآفة انقطعت من حديقة معاذ بن جبل إثر هذا العمل وأبلغ الأهالى الرسول ﷺ أصدر النبى ﷺ تعليماته أن يأتى كل من ابتلى بالآفة بعنقود بلح لتوزيعه على أصحاب الصفة وأعلن ذلك على الزراع.

ومن هنا اتخذ أصحاب الحدائق عادة ألا يطعموا أولادهم وعيالهم قبل أن يقدموا عنقودا من البلح لأصحاب الصفة، واستمر أصحاب اليسار والثروة بعد زوال الآفة فى تقديم البلح إلى مسجد السعادة كصدقة لأهل الصفة متبركين وعدوا هذا العمل كنفع عام ومن هنا تنافسوا فى هذا العمل المبارك.

وتولى معاذ بن جبل بحفظ ما يقدم من البلح وأخذ يوزعه على أصحاب الصفة فى أوقات معينة مخصوصة، وكان محمد بن مسلمة من أكابر الصحابة معروفًا بالسماحة والسجايا السامية وكان رجلاً فاضلاً يسلك دائمًا أحسن المسالك، إذ كان فى باكورة مواسم البلح يأتى بعناقيد البلح التى يجمعها ويضعها

بين عمودين من أعمدة المسجد ومن رأى ذلك اتخذ عادة الإتيان ببعض عناقيد البلح ويضعها بجانب عناقيد البلح المشار إليه، ولما كان هذا النظام الحسن سببًا فى إعاشة أصحاب الصفة وتسهيل حياتهم فقد تعمم تقديم البلح حتى أصبح كقانون البلد، وعمل زراع البلد بهذا القانون ذو الفرائد واستمروا على ذلك فى عصر السعادة وهكذا أطعموا حضرات أصحاب الصفة.

وعندما كثرت عناقيد البلح فى مسجد السعادة ربط معاذ بن جبل بين الأعمدة التى تراكمت فيها العناقيد حبلاً وعلق عليه العناقيد وكان الأصحاب الكرام يهزون العناقيد بعصيهم ويدعون أصحاب الصفة وبعد تناول البلح كان أصحاب الصفة ينصرفون إلى الأروقة التى صنعت من أجلهم فى نهاية مسجد السعادة من جهة الشمال حيث يمضون أوقاتهم فى الطاعة والعبادة.

واستمر توزيع البلح بهذه الصورة إلى أزمنة الخلفاء الراشدين، ولكن فيما بعد كثرت حقول البلح وكثر الغرباء من الوافدين إلى المدينة حيث أصبحت الصفة الخاصة بأصحاب الصفة لا تتسع لإيوائهم ومن هنا أخذ ولاة المدينة المنورة ما يتبرع به الزراع من بلح التبرك وباعوا بعضه واشتروا بعض قرب الماء والنعال وأشياء أخرى وأخذوا يطعمون الفقراء الوافدين فى مواسم الحج طول إقامتهم حسب النظام السابق وأسعدوهم عند عودتهم بإعطاء كل واحد منهم قربة ماء ومقدارًا من البلح، وقد ألغى الولاة المتأخرون النظام السابق وأحالوا إدارة الزوار الفقراء إلى دار الضيافة النبوية، وبما أنه لم يبق الآن فى المدينة المنورة، لا الزراع الذين يقدمون البلح لإطعامهم ولا القادرون الذين يعنون بإطعام الفقراء ويفكرون فيه ومن هنا فالفقراء الذين نفدت نقودهم وطعامهم لم يجدوا إلا صاحب الرسالة عليه أكمل التحية يعرضون عليه حاجتهم وهكذا ينالون مطالبهم كما سيفصل فى المقال الذى فى خاتمة الكتاب.

ومكان المظلة والرواق اللذان صنعا خصيصًا من أجل أصحاب الصفة الذين يعيشون كما سبق ذكره فى الجهة الشمالية من محراب التهجد وتقع هذه الصفة

المسعودة بين محراب التهجد الشريف إلى باب جبريل تظل مقصورة محراب التهجد فى الجهة اليمنى ومقصورة صفة أصحاب الصفة المباركة فى الجهة اليسرى.

وأراد الأسلاف الكرام أن يحافظوا على مكان الصفة الشريف إلى يوم القيامة وبهذا التفكير المصيب رفعوا الصفة عن سطح المسجد الشريف بمقدار ذراع واحد وأحاطوا أطرافها بسور خشبى فى ارتفاع نصف ذراع وخصصوها لجلوس أغوات حجرة السعادة، ويقيم الزوار الأفاضل وشيخ الحرم والآخرون من الذوات الكرام ليصلوا الصلوات المفروضة فى صفة أصحاب الصفة كما أن حراس الحجرة المعطرة يمضون أوقات نوبتهم فى هذا المكان الجميل بقراءة أورادهم الخاصة، إن هذا المكان موضع مبارك فى غاية اللطف والروحانية ولا ينكر أهمية الصلوات التى تؤدى فى هذا المكان لشرفه إلا أن أداء الصلاة فى الروضة المطهرة ما دام يجد الإنسان مكانًا خاليًا أفضل من الصلاة فى الصُّفَّة. ولكن فى حالة ازدحام الروضة المطهرة بالمصلين وعدم وجود مكان للصلاة تؤدى الصلاة فى مقصورة أصحاب الصفة، وإذا ما تذكر الإنسان تراحم أحوال أصحاب الصفة ومناقبهم وفضائلهم فلابد أن يقدر أهمية موقع ذلك المكان.

وكيف لا يبعث هذا المكان صفاء وسكونًا للقلب؟ فمحراب التهجد أمامه ودار السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ خلف محراب التهجد والروضة المطهرة فى الجهة الشرقية القبلية منه وحجرة النبى ﷺ المعطرة فى التقاء الروضة المقدسة من الجهة الغربية.

فى تعريف الحجرة النبوية المعطرة.

ترك بانى أساس الشريعة عديم الاندراس ـ عليه أكمل التحية ـ عندما تفضل بوضع أسس مسجد المدينة مكانًا خاليًا فى جهة من جهات المسجد ليبنى عليه لزوجاته المطهرات أمهات المؤمنين حجرة عالية لكل واحدة منهن، وبعد ما تم بناء المسجد الشريف ابتدر ببناء دارين للسيدتين سودة وعائشة[1] ـ رضى الله عنهما ـ وسواء أكانت عمق هاتين الدارين أو حجرات زوجات النبى الأخريات كاملة ملكًا لحارثة بن النعمان، أو قدم حضرة حارثة العَرْصَةَ المذكورة للنبى ﷺ ورحل إلى مكان آخر وهكذا نال شرف مجاورة النبى ﷺ الغالية لمدة مديدة.

وقد كان لحارثة بن النعمان أولاً عَرْصَةُ الدارين سالفتى الذكر ورحل إلى الدار التى على اتصال بهذه الساحة، وتعود أن يعطى قطعة أرض للنبى ﷺ كلما احتاج لبناء دار ويرحل هو إلى دار أخرى وبهذه الطريقة كان قد تنازل عن جميع ما يملكه من الأرض عندما تم بناء حجرات زوجات النبى ﷺ.

إن الحجرات التسعة التى أسسها النبى ﷺ لزوجاته كان بعضها مبنيًا من الحجر والطين اللبن وبعضها من جذوع النخيل قد طلى فوقها بالطين وصنعت أسقفها جميعًا من جريد النخيل، وكان ارتفاع جدرانها عامة فى حدود ثلاثة أذرع، وكانت بين دار السيدة عائشة وباب الرحمة، أى حجرات نسائه جميعًا كانت فى الجهة القبلية والشرقية والجهة الشمالية للمسجد الشريف، والدار التى كان يحبها النبى ﷺ وأكثر ما كان يسكن ويقيم فيها كانت دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكان يفتح بابها إلى الساحة الرملية وكان مصراعه مصنوعًا من خشب العرعر أو من خشب الساج على قول آخر، وكان الأصحاب الكرام والتابعين يدخلون فى

(١) عندما بنى مسجد السعادة لم تكن للنبى ﷺ إلا زوجتان.

حجرات النبى بعد ارتحاله عن دنيانا ويؤدون فيها ركعات التحية ويذكرون المحاسن النبوية وينتحبون متحسرين كما أن المشتاقين للجمال المحمدى يؤدون صلاة الجمعة فى داخلها، وهذا التصرف دليل كاف للدلالة على مدى حب أصحاب النبى الكرام لرسولهم.

حكاية

رأى النبى ﷺ يومًا من الأيام ثوبان ـ رضى الله عنه ـ فى غاية الهم والغم وهو واقف فى حضرته فسأله قائلاً: «يا ثوبان مالى أراك فى هذه الدرجة من الحزن والهم؟» فتحضر حضرة ثوبان للإجابة قائلاً «يا رسول الله إنك ستكون فى مقام عال مع الأنبياء الكرام! ففكرت ماذا سيكون إلى فى ذلك الوقت إذا سأحرم من رؤية جمالك الكامل، ومن أجل ذلك ملأنى الهم والغم» وبناء على قوله هذا نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم**﴾. الآية (٦٩: النساء) ويروون هذه القصة فى حق زيد بن عبد ربه أيضًا، كان زيد يحب النبى ﷺ حبًّا جمًّا، وعندما ارتحل النبى ﷺ كان زيد مشغولاً فى حديقته، وعندما جاء ابنه وأخبره بهذا الخبر المؤثر رفع يديه عاليًا وقال: «يا رب أزل نور عينى!!! حتى لا تريا بعد وجه رسول الله ﷺ أحدا!» وأصاب سهم دعائه هدفه فعميت عيناه من تلك اللحظة؛ رضى الله عنه.

حكاية أخرى

كان زيد بن الدثنة من الذين يحبون الرسول الأكرم حبًا مفرطًا، ولما وقع فى يد مشركى مكة وأخرجوه من الحرم ليعيدوه جاء أبو سفيان وقال: «يا زيد قل لى بالله لما كنت تود أن يكون مكانك محمد وضرب عنقه بدل عنقك وتعود أنت إلى عيالك» فأجابه قائلاً: «يا أبا سفيان لو شاكت شوكة الرسول ﷺ حيث يجلس وكنت أنا بين أولادى وعيالى، لكنت تألمت من ذلك» فقال أبو سفيان، إننى لم أر أحدًا من أبناء آدم يحب أحدًا كما يحب أصحاب محمد محمدًا وهكذا أظهر.. شدة تعجبه. انتهى.

لما زادت الجماعات الإسلامية ووصل الأمر إلى درجة أنهم ملئوا حرم المسجد الشريف هدموا الحجرات العليا كلها وألحقوها بالمسجد الشريف، وكانت هذه الحجرات فى عهدة إحدى زوجات النبى المطهرات إلا أن دار زينب ـ رضى الله عنها آلت إلى أم سلمة ـ بعد رحيل الأولى، كما أن دار سودة ـ رضى الله عنها ـ آلت إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ كما أن دار صفية ـ رضى الله عنها ـ بعد مضى بعض الوقت بيعت إلى معاوية من قبل أوليائها.

كما أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أعطت الدار التى انتقلت إليها لعبد الله بن الزبير بشرط أن يقيم فيها بذاته.

وكانت السيدة سودة قد أوصت فى حياتها بإعطاء دارها لعائشة، إلا أن ابن أبى سفيان اشترى دار والدتنا صفية من ورثتها بمائة وثمانين ألف درهم.

يروى بعض المؤرخين أن حضرة معاوية اشترى دار عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى رواية بمائة وثمانين ألف درهم وفى رواية أخرى بثمانين ألف درهم فقط وكانت دار حفصة أصبحت من ميراث عبد الله بن عمر فانتزعها منه الحجاج الظالم بالقوة ليلحقها بالمسجد، إلا أن رواية شراء ابن أبى سفيان من عائشة غير صحيحة، لأن عائشة وهبت تلك الدار المذكورة وملكتها لعبد الله بن الزبير فقدم من شدة فرحته لأمنا المذكورة هدية حمل خمسة جمال كما رجاها ألا تُغادرها مادامت حية.

فى تعريف دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ السعيدة.

كان بين حجرتى السيدة فاطمة وعائشة ـ رضى الله عنهما ـ حيث تقيمان باب صغير، وكانت دار النبى ﷺ الطاهرة متصلة بهذا الباب الصغير، وكانت دار فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مائلة نحو الحجرة المعطرة، ومن هنا كلما وجد نبينا ﷺ فى داره الطاهرة كان يستفسر عن حال السيدة فاطمة؛ وفى ليلة من الليالى حدث قيل وقال بين عائشة وفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ فغضبت السيدة فاطمة من عائشة ـ رضى الله عنهما ـ ورجت من النبى ﷺ أن يسد ذلك الباب الصغير، وبناء على ذلك سد النبى ﷺ ذلك الباب.

ودار فاطمة فى الجهة القبلية من محراب التهجد الذى يقع فى الجهة الشامية من الحجرة النبوية وبابها أمام مربعة القبر الجليل ولما كانت فخر النساء ـ رضى الله عنها ـ زفت فى داخل هذه الحجرة فأحيط حولها، لأجل التعظيم بسور خشبى، واستخدم فترة كالمقصورة وأخذ مؤخراً داخل شبكة السعادة.

وبالنظر لهيئة مسجد السعادة الحالية فإن دار فاطمة بين مربع القبر الجليل وأسطوانة محراب التهجد وقد أصبحت ذاتها العالية عروسًا بجانب أسطوانة محراب التهجد، ومن هنا فهذا المكان من جميع الوجوه جدير بالتعظيم والتقديس، والدار التى نحن فى صدد تعريفها بين باب دارى عثمان بن عفان وأسماء بنت حسن بن عبد الله وجهتها الشامية فى طرف باب النساء.

وكلما عاد النبى ﷺ من سفر كان يدخل أولاً فى المسجد وبعد أن يصلى ركعتين يزور حجرة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ثم يزور حجرات زوجاته بالترتيب، كل هذه الروايات مروية عن الحسن البصرى الذى كان من أجلة

التابعين، كان يقول هذا الذات السامى كلما يتحدث عن الحجرات النبوية «إننى قد زرت حجرات زوجات النبى المطهرات قبل البلوغ وكنت أستطيع أن أمسك بيدى أسقف الحجرات بالرغم من صغر سنى».

وبهذا القول كان يبين مدى انخفاض الحجرات العليا عندما أسست؛ رحمة الله عليه.

obeikandl.com

فى تعريف كيفية إغلاق الأبواب التى تواجه مسجد النبى فى عصر السعادة.

كان لكل واحد من المنازل التى تحيط بالمسجد الشريف فى عصر السعادة بابان كان يواجه أحدهما المسجد الشريف والآخر ينظر إلى جهات أخرى، وبناء عليه كان أصحاب تلك البيوت يستطيعون أن ينظروا داخل المسجد الشريف وقتما شاءوا. وصعد النبى ﷺ قبل ارتحاله إلى دار البقاء وقال: «إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خير عبده بين ذاته الوحدانية وبين زهرة الدنيا فاختار عبده ذاته الإلهية، وذلك قوله ﷺ: «لو كنت خيرت أن أتخذ غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ خليلاً لاتخذت أبا بكر الصديق خليلاً لما له من أيادى على أن أسعدنى بصحبته وساعدنى بماله، ومع ذلك بيننا الأخوة والمودة الإسلامية، وأوصيكم بأن تسدوا جميع الأبواب الناظرة إلى مسجدى غير باب أبى بكر الصديق»، وكانت الخطبة مؤثرة ذات معان بليغة وفى هذه الخطبة أمر بإغلاق جميع الأبواب الناظرة إلى المسجد الشريف إلا أنه حدث عقب هذه الخطبة بين الأصحاب قيل وقال ووصل ذلك إلى الرسول ﷺ.

وبناء على ذلك استدعى يومًا أصحابه وقال لهم قد سمعت أن الخطبة التى ألقيتها بالأمس بها أمر بأن تسد جميع الأبواب غير باب أبى بكر أدى إلى شيوع القيل والقال! إن النور الذى أبصره يقينى والذى أشاهده فى باب أبى بكر لا أشاهده فى أبواب سائر الأصحاب وكلمة العبد التى ذكرت فى الخطبة السابقة كانت المقصود بها الذات النبوى، وقد فهم أبو بكر الأمر، وعرف أن الوقت قد آن لانتقال الرسول ﷺ إلى الآخرة وتشريفها وإن أشار لذلك فى مبدأ الخطبة، ومن هنا حزن حزنًا شديدًا وأخذ يبكى بكاء شديدًا من شدة ألمه حتى تحير وتعجب الأصحاب الذين فى المسجد، ولما أمر الرسول ﷺ بسد الأبواب الناظرة

إلى المسجد فى خطبته الثانية فأسرع الأصحاب بسدها كلها وقال بعض الرواة إن الباب الذى استثنى عن السد هو باب على بن أبى طالب، ولما كان بيته بجانب المسجد لم يكن له باب آخر، ونقلوا بخصوص سد الأبواب كثيرًا من الأحاديث المتباينة، وقد ورد فى بعض تلك الأحاديث استثناء باب أبى بكر الصديق وفى الأحاديث الأخرى استثناء باب على بن أبى طالب، وإذا ما قيل إن الأمر الذى صدر بسد الأبواب كان فى خطبتين استثنى فى الأولى سد باب أبى بكر الصديق وفى الثانية باب على بن أبى طالب، وبهذا نكون قد وفقنا بين الروايات المختلفة، وكان الأمر بسد الأبواب كان نظرًا لما سيحدث من الانقلابات فى الأزمنة الآتية، لأنه كان قد فتح لجميع المنازل التى حول المسجد أبوابا تنظر إلى المسجد الحرام، فإذا لم تكن الأبواب قد سدت كانت المنافسة التى ظهرت قليلاً رويدًا كانت تؤدى إلى توسيع المنازل وعندئذ ستلتصق جدران المنازل بجدران مسجد السعادة، وهذا قد يؤدى إلى الحريق، كما أن صياح الأطفال ومشاجرتهم كانت ستسلب راحة بال جماعات المصلين كما أن ترك تلك الأبواب مفتوحة ستؤدى إلى محاذير مضرة، وإذا ما قيل إن فى هذه الحالة كان يقتضى الأمْرُ سد باب على بن أبى طالب كغيره من الأبواب التى طلب ﷺ سدها فما السبب فى تركه مفتوحًا؟ أجيب: إن دار على بن أبى طالب كانت متصلة بالمسجد الشريف ولم يكن لها باب آخر يفتح إلى جهات أخرى وبما أنه كان محتاجًا لباب للدخول والخروج ترك بابه مفتوحًا.

وقد انزعج الأصحاب الكرام من انسداد الأبواب وتأثروا متألمين ومن هنا أخذوا من النبى ﷺ إذنًا بفتح نوافذ صغيرة فى بيوتهم، وسدوا أبوابهم وفتحوا نوافذ صغيرة، ولكن النبى ﷺ أمر قبل وفاته بسد تلك النوافذ أيضًا وترك نافذة أبى بكر الصديق مفتوحة، وكأنه ألمح بهذه الإشارة الخفية لزوم بيعة المشار إليه والإسراع بتصديق خلافته.

obeikandl.com